سلسلة النبي والعترة

باقر العلم

الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

باقر العلم

الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

باقر العلم

الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

من الأمور الشائعة في هذه الفترة طلب التطوير في شؤون الثقافة الإسلامية، فنلاحظ الكثير من الخطابات والمقالات بل والكتب تصر على لزوم التغيير والتجديد. وتتخذ عناوين مختلفة؛ فمنها الحديث عن التجديد في مناهج الحوزات العلمية، ومنها ـ وهو كثير ـ تجديد الخطاب الديني، ومنها الحث على تنقيح الموروث الروائي، وإعادة النظر في روايات سِيَر المعصومين عليهم السلام، ومعاجزهم ومقاماتهم.. وأمثال ذلك.

وقد أصبحت هذه الفكرة بتفرعاتها المختلفة أشبه بالوِرد اليومي، والذكْر المعتاد لقسم من الخطباء والكتاب والمفكرين بحيث ربما يستطيع القارئ أن يصبّح بها ويمسّي!

وتعددت مستويات المطالبين بالتجديد والتطوير، فمثلما تجد فقهاء متمرسين في الحوزة يطالبون بهذا، ومفكرين جادّين، تجد خطباء متوسطين وكتابًا مبتدئين، وهكذا.

ويرى بعض الباحثين أن دعوات من هم في المستوى الأول

والجواب لها يختلف عمن هم في المستويات التالية. بمعنى أن الحديث مع الفقيه المتمرس الذي عرف الحوزة ومناهجها، والباحث في السيرة ومعارفها، وأمثالهما يختلف عن الشاب المتحمس الذي يكتب مقالًا في موقع الكتروني. ولسنا في مقام تصغير هذا أو ذاك. لكن الإنصاف يقتضي أن يخاطب كل فريق بما يناسبه!

لذلك سنقول للفئة الأولى؛ ولنفترض أننا نتحدث مع فقيه أو من يكون قريبًا من الفقاهة، بأنه لا داعي للحديث دائمًا عن أنه: يجب التطوير ويلزم التجديد! ولا داعي للبرهنة على لزوم ذلك!

بدلًا من ذلك.. ابدؤوا في تغيير ما تستطيعون تغييره من مناهج! قدموا على الطبيعة بدائل عمّا هو موجود أو إلى جنب ما هو موجود!

لقد قدم المرحوم الشهيد الصدر نموذجا في الأصول، ربما يتفق الآخرون معه أو يختلفون. ويؤيدونه أو يعارضون.. لكنه قدم ذلك النموذج، ولم يكتف بالسؤال عن أنه لماذا لا يتم التجديد؟

وكذلك فعل المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية سابقا، والشيخ الإيرواني حفظه الله حاليّا وغيرهما في مناهج الفقه التي تدرس في مرحلة السطوح بدرجاتها، والرجال..

وفعل غيرهم غير ما ذكرنا.

وبنفس الطريقة نخاطب الخطباء الكرام وأهل المنبر الحسيني لا سيما مسموعي الكلمة، بأنه لا داعي لتكرار أمثال: لماذا لا يتم تجديد الخطاب المنبري؟

ليكنْ منبركم صورة عمّا تدعون إليه قدر الإمكان، بحيث إذا سمعه الناس رأوا فيه مثالا مجسدًا لما ينادى به نظريًّا من التجديد والتطوير، وحينئذ لا حاجة للحديث معهم حول أنه يجب تغيير وتطوير وتجديد المنبر الحسيني والخطاب الديني! خاصة وأن الذي يستطيع التجديد الفعلي والتغيير العملي في ذلك هو أنتم! أو نحن ـ إذا عُددنا منهم.

ولأهل الاهتمام بالسيرة، يُقال نفس الكلام، كالذي صنعه المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي، والمرحوم الشيخ باقر شريف القرشي.

ولسنا في مقام استقصاء محاولات الاستجابة العملية، أو تقييم تلك التجارب، وإنما التمثيل فقط.

كما لا يعني ذلك أن ما تم القيام به في هذه المجالات هي محل إجماع أو أنها كافية وهي نهاية المشوار، وإنما هي طريقة مناسبة في الاستجابة لسؤال التجديد والتطوير.

وهذا الكتيب حول سيرة الإمام الباقر عليه السلام، يضاف إلى بقية الحلقات التي سبقته وتلحقه، هو محاولة في الاستجابة لسؤال التطوير في سيرتهم عليهم السلام، ربما تكون موفقة في بعض جوانبها وربما لا تكون كذلك، لكنها محاولة.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
تاروت ـ القطيف
1/ 12 / 1444 هـ

سطور تعريفية

اسمه: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

كنيته: أبو جعفر.

لقبه: الباقر.

صفته: الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والدته: فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته: شهر رجب سنة 57 هـ.

شهادته: سنة 114 هـ مسمومًا بتدبير الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك.

الإمام الباقر من الميلاد إلى الاستشهاد

1 / ميلاده ووالدته:

كانت ولادته المباركة في شهر رجب من سنة 57 للهجرة، في المدينة المنورة قبل نحو ثلاث سنوات من شهادة جده الإمام الحسين عليه السلام.

أما والده فهو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، وقد مضى في كتاب سابق ذكر شيء من أحواله وسيرته الشريفة.

وأما والدته المكرمة فهي فاطمة بنت عمه الإمام الحسن بن علي المجتبى، وتكنى بأم عبد الله، وكأنّ ذلك لكون ابنها الأكبر عبد الله (الباهر).[1] وربما ذكرت بكنية أم الحسن، وقد أشرنا في

(1) الشريف المرتضى؛ علي بن الحسين الموسوي: الناصريات، ص 64، «قيل لأبي جعفر أي إخوانك أحب إليك وأفضل، فقال: أما عبد الله فيدي التي أبطش بها».

كتاب سيد العابدين إلى بعض شؤونها، ومنها: أنها الزوجة الحرة الوحيدة للإمام علي بن الحسين السجادِ ولذا فمن ولد منها قد جمع شرف النسبين: فمن جهة الأب هو حُسيني ومن جهة الأم حسني، مثلما كان الإمام الباقر عليه السلام، وعبد الله الباهر.

ومنها أنه بواسطتها فكل أئمة الهدى عليهم السلام من الباقر إلى المهدي، ينتسبون لفاطمة من الطرفين (الحسن والحسين). ويكون الحسن المجتبى جدًّا لهم مثلما هو الإمام الحسين. وقد وصف الإمام الباقر لذلك بأنه أول علوي من علوييْن وأول فاطمي من فاطمييْن.

ومنها: أنها قد ذكرت في روايات المعصومين بأعلى درجات التكريم، فقد نقل عن حفيدها الإمام الصادق عليه السلام قوله في حقها: «كانت صديقة، لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها» كما روي عن ابنها أبي جعفر الباقر عليه السلام كرامة حصلت لها، فقال: «كانت أمي قاعدة عند جدار، فتصدع الجدار، وسمعنا هدّة شديدة، فقالت بيدها: لا! وحق المصطفى صلوات الله عليه وآله ما أذن الله لك في السقوط، فبقي معلَّقا في الجو حتى جازته، فتصدق عنها أبي بمئة دينار».[1] وإذا صح ما ذكره ابن الأثير في الكامل[2]

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب ثقة الإسلام: الكافي1/ 469

(2) الشيباني الجزري ؛ عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 228 قال: وفيها (سنة 117) وفيها توفّيت فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب وسكينة بنت الحسين بن علي.

أنها توفيت سنة 117 هـ. فهذا يعني أنها توفيت بعد شهادة ابنها الباقر ﷺ سنة 114 هـ بثلاث سنوات!

ـ وقد ذكرت في جملة الراويات[1] والمحدثات.

هل هي شريفة بنت الحسن المجتبى؟

هناك مزار كبير في أطراف مدينة الحلة العراقية يؤمه الكثير من الزوار رجالًا ونساء، عُرف بمشهد السيدة شريفة بنت الإمام الحسن المجتبى. وتنقل قصص كثيرة عن زوار استجاب الله سبحانه لهم وقضيت حوائجهم على أثر زيارتهم ذلك المزار واستشفاعهم بصاحبة المزار. وقد صاحب تشييد هذا المزار جدل في الساحة الشيعية، ينتهي طرف منه إلى إثبات والآخر إلى نفي.

ويمكن أن نلاحظ ثلاثة عناوين في هذا النقاش:

1/ هل هذا المزار مرقد إحدى بنات الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب مباشرة؟ أو يمكن أن تكون من بناته بالواسطة أو الوسائط؟

2/ هل إن السيدة شريفة (ويفترض أن هذا هو لقب من الألقاب

(1) الموسوي؛ السيد مهدي الرجائي: المحدثون من آل أبي طالب 3/ 518، وفي بعض المصادر تم الخلط بينها وبين ابنة عمها فاطمة بنت الحسين ﷺ، فقد نقل الترمذي حديثا نسبه إليها بينما يرى المحدثون أنه عن بنت الحسين.

حيث لا يذكر المؤرخون والنسابة اسم وجود بنت للإمام الحسن بهذا الاسم) هي نفسها فاطمة بنت الإمام الحسن، وهي والدة الإمام الباقر وزوجة الإمام السجاد عليهما السلام؟

والذي يرتبط ببحثنا هو السؤال الثاني، أما السؤال الأول وتحقيق انتساب المزار للسيدة شريفة فهو مما يبحث في موضع آخر.

رأي المثبتين

أن السيدة شريفة هي نفسها فاطمة أم الباقر عليه السلام، يمكن تلخيصه بما ذكره العلامة السيد هادي المدرسي في كتابه المعنون بـ (الشريفة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام: الصدّيقة بنت الصِدّيقين). وحاصل ما ذكره هو التالي:

1/ إنه ذكر بدءًا بأن «الإمام الحسن المجتبى عليه السلام له ابنة اسمها فاطمة وأمها هي أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وهذه المرأة الجليلة من سيدات نساء بني هاشم العظيمات وهي «السيدة شريفة» وكانت تكنى بإحدى كنيتين (أم محمد) و(أم عبد الله).[1] ثم نقل ما ذكرناه آنفًا مما جاء في فضل والدة الإمام الباقر.

(1) المدرسي ؛ هادي: الشريفة بنت الحسن؛ الصديقة بنت الصديقين ص 49

2/ ولأن ما ذكر أعلاه من تطبيق عنوان «السيدة شريفة» على فاطمة بنت الإمام الحسن والدة الإمام الباقر عليه السلام يحتاج إلى استدلال، فقد شرع في حشد القرائن على هذا فيما بعد من صفحة 105 إلى صفحة 115. بما خلاصته:

أ/ بما أنه لا يعرف أي مكان ينسب إليه قبر لفاطمة بنت الحسن (لا في المدينة ولا في أي مكان آخر) بينما هنالك بعض العلامات التي تدل على أنها مدفونة في المكان المعروف في الحلة فيمكن التأكد من أن قبر الشريفة هو قبر السيدة فاطمة.

ب/ كذلك فإن الصّدّيقة لا يجهزها إلا صدّيق بحسب ما ورد في الروايات، وهذا يعني أن فاطمة بنت الحسن لا بدَّ ان يكون الإمام السجاد هو الذي غسلها لأنه هو الصديق المعاصر لها وهو زوجها.

ج/ إن فاطمة هذه قد رافقت زوجها الإمام السجاد إلى كربلاء، ورافقت موكب السبي إلى الكوفة ثم اختفى أثرها تمامًا، وهذا يؤشر إلى أنها فقدت أثناء الطريق وهو أقرب الاحتمالات.

د/ إن هناك مقامًا للإمام السجاد عليه السلام يقع على مقربة من المزار (8,5 كم) وهذا يشير لوجود حادثة ما ولعلها وفاة السيدة فاطمة حيث توقف الإمام هناك لدفنها.

هـ/ إن اشتهار كون المقام للسيدة الشريفة فاطمة بنت الحسن يكفي، فإن بعض العلماء ومنهم المرجع الديني السيد المرعشي النجفي كان يكتفي في إثبات النسب على الشهرة. وفي تحديد المواقع كذلك كما ورد في روايات كتاب الحج.

وأخيرًا ـ يقول ناقلًا عن بعض متولي المقام والمزار، فإن السيدة قد عرّفت نفسها بنفسها عندما صارت واسطة لقضاء حوائج المؤمنين.[1]

رأي النافين:

وينبغي أن نشير هنا إلى حدود النفي، فليس المقصود نفي وجود سيدة من بنات الإمام الحسن في هذا المكان، أو ادعاء أن هذا المزار هو مصطنع.. كلا. وإنما حدود هذا هو: أن تكون فاطمة بنت الإمام الحسن أم الباقر مدفونة هنا! أو أنها هي نفسها السيدة شريفة. ويمكن لهؤلاء أن يذكروا التالي:

1/ أن القرائن السابقة الذكر والقصة المذكورة تشير إلى أن وفاة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن لا بدَّ أن تكون في طريق السبي ـ ذهابًا أو أيابًا ـ وهذا يعني أنها ماتت والامام الباقر لا يزال في سن الثالثة أو الرابعة، ولم يذكر في مصدر من المصادر أن

(1) المصدر نفسه ص 115.

الإمام الباقر ﷺ قد فقد أمه وهو في هذا العمر. بل قد يشير إلى خلافه ما ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل من أنها عليها السلام قد توفيت مع فاطمة بنت الحسين في سنة 117 هـ.

2/ إن بعض كتب التاريخ قد ذكرت بأن لفاطمة بنت الإمام الحسن قبرًا يقع في بيت المقدس، ونحن لا نعلم من أين كانت لهم هذه المعلومة! فقد ذكر الخليلي في كتابه موسوعة العتبات المقدسة: «وكثرت المساجد، وكثر ملازموها من العباد والمتقربين إلى اللّه ببيت المقدس، ودفن عدد كبير من الأولياء وأحفاد الرسول في تلك المساجد ومن ذلك كان مسجد (اليقين) وبظاهره مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

قال القاضي مجير الدين الحنبلي: وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه

بالرغم مني بيت الترب والحجر

أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة

بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر[1].

(1) الخليلي؛ جعفر موسوعة العتبات المقدسة 4/ 89 نقلًا عن مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل 1/ 72.

وفي حديثه عن السيدة نفيسة عليها السلام قال الكاتب توفيق أبو علم: «تزوّجها إسحاق المؤتمن وبنى عليها في بيت أبيه بالمدينة، فعاشت ردحًا من الزمن، فكانت تتشوّق لزيارة قبر أبيها الخليل إبراهيم عليه السلام. ثم زارت بغوطة دمشق: مقام السيّدة زينب بنت أُم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ثم زارت قبر عمّتها فاطمة بنت الحسن بن علي رضي الله عنهم، إذ أنّها مدفونة بمغارة..»[1] ونقل نفس العبارة السابقة المذكورة عن القاضي الحنبلي.

ويبقى سؤال: من أين مصدر هذه المعلومة والذي لم يذكره القاضي الحنبلي! وما الذي يجعل قبر السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن في بيت المقدس لا سيما وأنه لم يكن لبيت المقدس في مدرسة أهل البيت هذه المكانة العالية التي له في مدرسة الخلفاء ولم يعهد من أهل البيت ـ لذلك ـ التردد عليه والزيارة له.

النتيجة من الرأيين:

سوف نذكر عدة نقاط يتشكل منها الرأي الأخير في هذه المسألة:

أولها: إن المزار المعروف للسيدة شريفة (سواء كانت بنت

(1) أبو علم؛ توفيق: السيدة نفيسة رضي الله عنها ص 153.

الإمام الحسن مباشرة أو بالواسطة) لا يلازم القول بأنها هي فاطمة بنت الإمام الحسن، أما بناء على وجود وسائط بين السيدة المذكورة وبين الإمام الحسن فواضح وأما بناء على عدم وجود واسطة، فكونها ابنة الإمام الحسن لا يلزم منه أن تكون هي فاطمة (والدة الباقر) فقد تكون واحدة أخرى من بناته! ولإثبات التطابق نحتاج إلى قرائن في ذلك. والقرائن التي أقيمت من قبل المثبتين ليست كافية.

ثانيها: إن هذا لا يعني الدعوة إلى تقليل الاهتمام بالمزار أو تثبيط الزوار، إذ أننا نعتقد أن تكثير المراكز والمشاعر الدينية المذكرة بالله تعالى وبأوليائه هي من الأمور المهمة وقد ينطبق على بعضها «تعظيم شعائر الله» وأنه من تقوى القلوب. وسواء كانت هذه السيدة هي أم الإمام الباقر أو شخصية غيرها، أو أنها من بنات الحسن المجتبى مباشرة أو مع الواسطة، فإنه ينبغي التشجيع على قصده وقصدها، والصلاة والدعاء في هذا المشهد وغيره. ومن الطبيعي أن الله سبحانه وتعالى لا يخيب من قصده ولا يرد من سأله، لا سيما إذا استشفع بذرية النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثها: إن استجابة الدعاء وموارده كثيرة، وصحيحة غالبًا، لا تثبت من الناحية العلمية والنظرية أن هذه هي فلانة. وغاية ما

تثبت أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في هذا الموضع والقبر بركة وخيرًا، وأن من دفن فيه هو أحد أبواب التوسل والاستشفاع لدى الله سبحانه.[1]

2/ الإمام الباقر في كربلاء:

في وقت مبكر من عمره الشريف (3 سنوات) خرج الباقر مع أبيه السجاد في نهاية شهر رجب سنة 60 هـ من المدينة المنورة متجها إلى مكة المكرمة على أثر تولي يزيد بن معاوية الحكم خلفًا لأبيه، وطلب والي المدينة من الإمام الحسين بن علي البيعة ورفض الحسين[2]، واختياره الاتجاه إلى مكة المكرمة ثم إلى العراق حيث حاصره جيش الأمويين، لتحدث واقعة كربلاء في يوم عاشوراء سنة 61 هـ.

---

(1) رأيت كلامًا قريبًا مما ذكر للمرجع الديني السيد صادق الروحاني رحمه الله جوابًا عن سؤال حول مرقد السيدة شريفة: «إن المقام المذكور ينسبه عامة الناس إلى الشريفة بنت الحسن عليه السلام بينما ينسبه آخرون إلى امرأة من ذرية الامام الحسن عليه السلام، وبالتالي ليس لدينا ما يثبت أيا من القولين من المصادر التاريخية، أو ما يورث الاطمئنان إلى صحة النسبة المذكور استنادًا إلى ما يتناقله عامة الناس، فلا نستطيع الجزم بصحة هذه النسبة وما يلازمها.

ثانيًا: إن عدم وجود ما يثبت هذه النسبة في المصادر التاريخية لا يعني نفي حقيقة وجود هذا المقام الذي يحتمل أنه لبعض عباد الله الصالحين سواء كان ذلك وفق ما يقوله عامة الناس أو غير ذلك، ولا ينفي إمكانية حصول بعض الكرامات التي يتناقلها الناس لأن ذلك ممكن، وليس على الله بعزيز بأن يستجيب الله دعاء من يدعوه ومن يتوسل إليه بأحد من أوليائه الصالحين وخاصة ممن ينتسب إلى أهل بيت العصمة عليهم السلام. http: / /www.rohani.ir /ar/

(2) قد بيّنّا تفاصيل ذلك في كتابنا: أنا الحسين بن علي.

كان الإمام محمد الباقر برفقة أبيه علي السجاد عليهما السلام، وشهد جميع ما جرى من أحداث، ولذلك سينقل الكثير منها فيما بعد للرواة، وربما نسب بعض ما لم يشهده إلى أبيه السجاد، وسيكون أحد المصادر المهمة التي حفظت الحادثة كما حصلت، فلم تؤثر الدعايات الأموية والسياسات التجهيلية في إخفاء هذه الحادثة أو التشويش عليها.

وسننقل في فصل خاص بعض ما حدث به عليه السلام عن تلك القضية.

وكان عليه السلام جزءًا من ركب الأسرى والسبايا اللاتي «تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن وليٌّ، ولا من حماتهن حميٌّ» [1] ورأى بعينيه معاناة والده زين العابدين في ذلك الأسر.

3/ الباقر في أيام إمامة أبيه السجاد:

مع تصدي الإمام السجاد للإمامة، سوف نلحظ أنه عليه السلام يخص ابنه الباقر باهتمام استثنائي لكونه الإمام بعده، وإلا فقد ذكرنا

(1) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار45/ 136.

في كتابنا سيد العابدين إن بقية أبنائه كانوا على درجات عالية من العلم والتقوى، وكل واحد منهم ـ بنظر الناس ـ كان خليقًا بالإمامة والقيادة. لكن الأمر ليس خاضعًا لاختيار الناس ونظرهم، وإنما هو أمر إلهي، وقد ذكرنا هذا بأدلته مرارًا فلا نعيده.

إذ أن الباقر وهذا اللقب منحه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولًا، بل في بعض الروايات أنه موجود في التوراة، ثم أشار إليه به أئمة الهدى عليهم السلام، حتى صار بالنسبة له أشبه بالاسم العلم، بحيث لم يعرَف غيره به، لا في أتباع مدرسة الخلفاء ولا مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وسنفرد له بحثًا خاصًا للنظر فيه وفي دلالاته.

وكان أبوه الإمام السجاد عليه السلام يناديه به من وقت مبكر، فقد روى عمر بن علي بن الحسين (الأشرف)[1] أنه: كان يقول صلوات اللّه عليه: ادعوا لي ابني الباقر وقلت: لابني الباقر ـ يعني محمّدًا ـ فقلت له: يا أبه ولم سمّيته الباقر؟ قال: فتبسم وما رأيته تبسّم قبل ذلك، ثمّ سجد للّه تعالى طويلًا، فسمعته يقول في سجوده: اللّهم لك الحمد سيدي على ما أنعمت به علينا أهل البيت، يعيد ذلك مرارًا، ثم قال: يا بنيّ إنّ الإمامة في ولده إلى أن يقوم قائمنا عليه السلام، فيملؤها قسطًا وعدلًا وأنه الإمام أبو الأئمة

(1) ذكرنا شيئًا من ترجمته في كتاب: سيد العابدين: علي بن الحسين عليه السلام.

معدن الحلم وموضع العلم يبقره بقرًا، واللّه لهو أشبه الناس، برسول اللّه ﷺ. قلت: فكم الأئمة بعده؟ قال: سبعة ومنهم المهدي الذي يقوم بالدين في آخر الزمان.[1]

وبنظرة سريعة للحديث ومن التأمل في هذا التركيب (كان يقول) يستفاد أن هذه الطريقة كانت طريقة مستمرة ودائمة، وهكذا الفقرة الثانية من الحديث «قلت لابني الباقر». وسيلفت نظرنا ما جاء فيه «فتبسم وما رأيته تبسم قبل ذلك» وربما يكون ذلك ناظرًا إلى أثر مصيبة الحسين عليه حيث لم يرَ ضاحكًا أو باسمًا، لكن هذه النعمة بوجود ابنه الباقر كانت تستحق التبسم والسرور، ثم السجود شكرًا لله تعالى.

كما أن زين العابدين عليه السلام ذكر في سجوده ثلاث خصال لابنه الباقر؛ أن الإمامة في ولده إلى قيام القائم فهو أبو الأئمة. وأنه موضع العلم الذي يبقره بقرًا ويكشف عن مغاليقه، ويستخرج مكنوناته. وأنه أشبه الناس برسول الله ﷺ.

وكان هذا الحديث وأمثاله، من أحاديث النص على إمامته والإشارة لفضله وميزاته.

(1) الخزاز القمي: كفاية الأثر ص 237.

ولم يكن هذا الحديث منفردًا بل سبقته وتلته أحاديث كثيرة؛ منها ما رواه أخوه الحسين بن علي بن الحسين، قال: «سأل رجلٌ أبي عليه السلام عن الأئمة قال: اثنا عشر؛ سبعة من صلب هذا، ووضع يده على كتف أخي محمد».[1]

ويمكن الاستفادة من أجواء الحديث الأول أنه كان في وقت قريب من حادثة كربلاء بملاحظة حالة الحزن التي يصفها الراوي بقوله «وما رأيته تبسم قبل ذلك» مما يعني أن هذا اللقب وهذه الصفات التي ذكرها الإمام السجاد عن ابنه الباقر كان في أوائل شبابه، بملاحظة أن واقعة كربلاء وقعت والإمام الباقر في بداية السنة الرابعة من عمره، بينما نجد نفس المعاني التي ذكرت فيه قد جاءت في أحاديث الإمام السجاد في أواخر عمره، وكانت بمثابة الوصايا الأخيرة.

فعن الزهري قال: «دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام في المرض الذي توفي فيه.. إلى أن قال: ثم دخل عليه محمد ابنه فحدثه طويلًا بالسر، فسمعته يقول فيما يقول: عليك بحسن الخلق. قلت: يا بن رسول الله [من الأمر من الله] ما لا بدَّ لنا منه ـ ووقع في نفسي أنه قد نعى نفسه ـ فإلى من نختلف

(1) المصدر السابق ص 239

بعدك. قال: يا أبا عبد الله إلى ابني هذا وأشار إلى محمد ابنه، إنه وصيي ووارثي وعيبة علمي ومعدن العلم وباقر العلم. قلت: يا بن رسول الله ما معنى باقر العلم؟ قال: سوف يختلف إليه خُلّص شيعتي ويبقر العلم عليهم بقرًا. قال: ثم أرسل محمدًا ابنه في حاجة له إلى السوق، فلما جاء محمد قلت: يا بن رسول الله هلّا أوصيت أكبر أولادك[1]؟ فقال: يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالصغر والكبر، هكذا عهد إلينا رسول الله ﷺ وهكذا وجدنا مكتوبًا في اللوح والصحيفة».[2]

ونلاحظ هنا أيضًا اللقب الخاص بالإمام «باقر العلم» وأنه «يبقر العلم بقرًا».

4/ الباقر: لقب يشير إلى خريطة عمل:

قد ذكرنا في كتابنا عن الإمام الحسن المجتبى: سيد الجنة؛ أن ألقاب المعصومين عليهم السلام، وخاصة تلك التي جاءت في كلمات آبائهم عنهم ليست ألفاظ مدح مجرد، أو تعابير مرتجلة، بل

(1) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124 هـ) وهو من محدثي مدرسة الخلفاء ينطلق في هذا مما عليه فكرة تلك المدرسة حيث لا وجود للنص عندهم، فيتم اللجوء إلى المرجحات بين الأبناء فإذا كانوا كلهم علماء فالأكبر منهم يقدم على الأصغر وهكذا.. ولهذا أجابه الإمام بأن الإمامة الإلهية ليست بالصغر والكبر.

(2) الخزاز القمي: كفاية الأثر 243.

تشير ـ فيما تشير ـ إلى أدوار يقوم بها المعصوم صاحب اللقب وتعرّف ـ أحيانًا ـ بخريطة عمله.

ونحن نلاحظ أن هذا اللقب سواء كان بصيغة اسم الفاعل «الباقر» أو كان بصورة الشرح للفعل «يبقر العلم بقرًا» هو من هذا النوع.

وأول ما نلاحظ فيه: أنه قد جاء من جهة الوحي، فهو مروي عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ثم عن ذريته. وقد اشتهر هذا اللقب بين المسلمين له عليه السلام، حتى ذكره في وقت مبكر من كان محسوبًا على الخط المقابل للشيعة وأهل البيت مثل الجاحظ (ت 255هـ) الذي قال عنه «وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخلق بعد، وبشر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته وقال: ستراه طفلًا فإذا رأيته فأبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه وقال له ما وصى به».[1]

وهذا المعنى نفسه ذكره الاسفراييني (ت 429هـ) فقال: «مُحَمّد بن علي بن الْحُسَيْن الْمَعْرُوف بالباقر وَهُوَ الذي بلغه جَابر بن عبد الله الأنصاري سَلام رَسُول الله عَلَيْهِ السَّلَام عَلَيْهِ».[2]

(1) الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر: الرسائل السياسية ص452: الشاملة.

(2) الأسفراييني؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي: الفَرق بين الفِرق ص354.

وأما في مصادر أهل البيت والإمامية فهو كثير جدًّا، وسيكون لنا وقفة مع هذه الأحاديث عند كلامنا عن علاقة الإمام الباقر بجابر بن عبد الله الأنصاري.

ومعنى الباقر، ويبقر: هو من يشق ويفتح ويكشف عما هو مستور منه، فقد قال النووي (ت 676هـ) عند ذكره للإمام «مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَعْرُوفُ بِالْبَاقِرِ لِأَنَّهُ بَقَرَ الْعِلْمَ أَيْ شَقَّهُ وَفَتَحَهُ فَعَرَفَ أَصْلَهُ وَتَمَكَّنَ فِيهِ».[1] وقبله قال ابن الاثير (ت 606هـ) «هو أبو جَعفر محمد بن علي بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب المعروفِ بالباقِر.. وسُمي البَاقر لأنَّه تبقَّر في العلم، أي توسَّع»[2] ونسب ابن العطار (ت 724 هـ) ذلك إلى الواقدي (ت 207 هـ) فقال: «أمَّا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليٍّ: فهو: قرشيٌّ، هاشميٌّ، مدنيٌّ، تابعيٌّ جليل، يعرف بالباقر. قال الواقدي: سُمِّي به؛ لأنه بَقَرَ العلمَ، وعرفَ أصلَه؛ أي: شقَّه، وفتحَه. وكان ـ رحمه الله ـ خيرَ محمديٍ على وجه الأرض في زمنه».[3]

(1) النووي؛ محيي الدين يحيى بن شرف: شرح النووي على مسلم 1/ 102، وكذلك في كتابه تهذيب الأسماء واللغات.

(2) الشيباني الجزري ؛ عز الدين ابن الأثير: جامع الأصول 12/ 886.

(3) ابن العطار؛ علي بن إبراهيم بن داود: العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام 1/ 230.

5/ الإمام محمد الباقر وجابر الأنصاري:

من الأحاديث المشهورة بين الفريقين، حديث لقاء الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري[1] بالإمام محمد الباقر في أيام حياة أبيه الإمام السجاد عليهما السلام، وإبلاغ جابرٍ الأنصاري، الإمام الباقرَ سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه إيّاه بأنه يبقر العلم بقرًا. وقد تكثرت تلك الأحاديث ما بين مفصلة[2] ومجملة، وقد لا تتفق على عبارة واحدة ولكنها تتفق على جملة أمور:

أ/ أصل اللقاء بينهما وتفرس جابر في شمائل وهيئة محمد بن علي الباقر وتشبيهه بشمائل وصفات النبي[3] وأنه تعرف عليه أولًا على أساسها، ثم سأله عمّن يكون فأخبره بنسبه فعرفه.

---

(1) قد ذكرنا شيئًا من سيرته والتزامه بخط أهل البيت عليهم السلام ودفاعه عنهم في كتابنا: أصحاب النبي محمد.

(2) رواه الشيخُ الصدوق في الأمالي ص 434؛ بسندٍ معتبر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذاتَ يومٍ لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر، إنَّك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، المعروف في التوراة بالباقر، فإذا لقيتَه فأقرئه مني السلام.
فدخل جابر إلى عليِّ بن الحسين عليه السلام فوجد محمد بن عليٍّ عليه السلام عنده غلامًا، فقال له، يا غلام، أقبِلْ. فأقبَلَ، ثم قال له: أدبِرْ. فأدبَر، فقال جابر: شمائلُ رسولِ الله وربِّ الكعبة، ثم أقبل على عليِّ بن الحسين عليه السلام فقال له، مَن هذا؟
قال: هذا ابني، وصاحبُ الأمر بعدي محمد الباقر. فقام جابرُ فوقع على قدميه يُقبِّلهما، ويقول: نفسي لنفسك الفداء يا بنَ رسول الله، إقبَلْ سلامَ أبيك، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأُ عليك السلام.
قال: فدمعتْ عينا أبي جعفرٍ عليه السلام، ثم قال: يا جابر، على أبي رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام ما دامتِ السماواتُ والأرض، وعليك ـ يا جابر ـ بما بلَّغتَ السلام.

(3) قد مرَّ في روايات سابقة أن الإمام السجاد أشار إلى مشابهة شمائله بشمائل النبي، ويعني الهيئة العامة بالرغم من أن بعض الروايات تشير إلى أن الإمام الباقر كان أسمر اللون، ولكن هذا لا يمنع من الشبه في الملامح والهيئة العامة.

ب/ أن جابرًا على أثر ذلك أبلغه سلام النبي ﷺ حيث أن النبي قد أخبره أنه سيطول عمره إلى أن يلتقي بولد من أولاده من نسل الحسين وأن اسمه محمد، وانه يبقر العلم بقرًا وكلّفه النبي بإبلاغ سلامه إليه. وقد قام جابر بتأدية سلام رسول الله ﷺ إليه.

ج/ أنه بعد تلك الحادثة كان الإمام الباقر عليه السلام يتردد على جابر ويزوره في منزله، ويسمع منه أحاديث ـ كما هو الظاهر عند الناس ـ بينما المصادر الشيعية تشير إلى نحو من التدارس، وتطبيق مع هو عند الإمام الباقر على ما عند جابر كما هو في حديث اللوح الذي فيه أسماء الأئمة، بل تشير بعضها إلى نحو من التعليم والتدريس منه عليه السلام لجابر.

د/ أن جابرًا بقي بعد هذه الحادثة فترة ليست طويلة، وأنها كانت علامة من النبي على أنه سيفارق الدنيا.

وتنفرد بعض الروايات ببعض التفاصيل؛ منها:

- أن في بعضها ذكر أن لقب «الباقر» هو لقبه المذكور له في التوراة. بينما خلت بعض الروايات من هذا التفصيل.
- أن في بعضها شرحًا لكيفية استقبال جابر للباقر من أنه أهوى عليه يقبله، أو أنه قال له أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر فأكد أن شمائله شمائل النبي، بينما لم تذكر هذه التفاصيل في روايات أخر.

- أن في بعضها تفصيلًا لتشوق جابر بن عبد الله وتحرقه للقاء الباقر حتى يحقق ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يجلس في المسجد أو سواه من الأماكن ويقول: يا باقر، يا باقر، وأن البعض قد ظن به على أثر ذلك أنه أصابه الخرف! كما أن في بعضها إشارة إلى أنه لا يبقى طويلًا بعد هذا اللقاء.. بينما خلت روايات أخر من هاتين الجهتين.

هل كان جابر كفيف البصر حينها؟

ثم إنه ربما سأل البعض عن أنه كيف رأى جابرٌ الباقرَ وقال إن شمائله كشمائل رسول الله؟ والحال أنه كان كفيف البصر بما يستفاد من رواية بشارة المصطفى للطبري التي ترد في زيارته لقبر الحسين عليه السلام في كربلاء، حتى أنه استعان بعطية العوفي لكي يُلمسه القبر الشريف؟

وقد أجاب عن هذا السؤال أخونا العلامة الشيخ محمد صنقور البحراني بما حاصله مختصرًا:

- أن أول الرواية المذكورة وفيها: أنه قال لعطية: ألمسني القبر، قد يظهر منها أن جابرًا كان كفيف البصر بحيث كان يحتاج لمن يرشده إلى القبر ويلمسه إياه.. لكن هذا الظهور ينتفي بملاحظة ذيلها حيث جاء فيها: ثم جال ببصره حول القبر

وقال: السلامُ عليكم أيُّتُها الأرواحُ التي حلَّت بفناءِ الحسينِ وأناخَتْ برحلِه.. فلو كان كفيفًا لما كان معنى للقول: جال ببصره.

- وأيضًا فإن الروايات التي ذكرت قصة اللقاء وبعضها معتبر سندًا تشير بوضوح إلى كونه غير كفيف البصر، فمنها ما ورد في إحداها: فهو- بحسب الرواية - قد وجد عند الإمام السجَّاد غلامًا فأقبَلَ عليه وقال له أقبِلْ وأدبِرْ ليتحقَّق من شمائلِه ثم أقسَمَ بربِّ الكعبة إنَّ شمائلَه هي شمائلُ رسول الله ﷺ وكيف يتسنَّى له التحقُّق من شمائلِ الباقر عليه السلام وما هي جدوى الأمر بالإقبال والإدبار لولا أنَّه كان بصيرًا؟

بل في رواية أخرى يستفاد منها أن الإمام الباقر قارن مع جابر ما كان عنده مكتوبًا من حديث الأئمة وما كان عند جابر فنقل قول الإمام الباقر عليه السلام لجابرٍ الأنصاري: «انْظُرْ فِي كِتَابِكَ لأَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ، فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَةٍ فَقَرَأَه أَبِي فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفًا» فهو صريحٌ بأنَّ جابرًا (رحمه الله) كان حينها بصيرًا يتمكَّنُ من النظر فيما كَتَب.[1]

(1) للاطلاع على تفصيل ذلك يراجع موقع مركز الهدى للدراسات https://www.alhodacenter.com/article/2305.

وهذان جوابان جيدان بالنظر إلى المصادر الشيعية، إلا أن المصادر غير الشيعية تؤكد أن جابرًا الأنصاري قد كف بصره.[1]

والجواب عن هذا: أننا نعتقد أن حادثة اللقاء بين جابر والإمام الباقر عليه السلام كانت قبل فقدانه البصر بشكل كامل، وأنها بشكل خاص كانت قبل سنة 75 هـ. وذلك أن أول خبر عن كونه كفيف البصر كان في وقت مجيء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي إلى المدينة وعزله الحجاج عنها وتوليته أبان بن عثمان بن عفان، فهناك يذكر أنه تحدث لعبد الملك وشجعه على الإحسان لأهل المدينة.. فأشار عبد الملك لقائد جابر (وكان كفيفًا) أن يسكته![2] فإذن لا يوجد خبر عن عمى عين جابر قبل هذا التاريخ. وقولهم: في آخر عمره يتناسب مع هذا التاريخ فإنه قبل وفاته بثلاث سنين.[3] بل هو أوضح لو كان بعد هذا التاريخ.

(1) فقد ورد في الطبقات الكبرى: «مات جابر بن عبد الله سنة ثمان وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان قد ذهبَ بصرهُ» وفي أسد الغابة: «عَمِي في آخر عمره».

(2) ابن سعد الزهري؛ محمد بن منيع: الطبقات الكبير4/ 387.. فقال جابر: يا أمير المؤمنين! إن هذه حيث ترى، وهي طَيْبَة، سمّاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأهلها مجهَدُون، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يصل أرحامَهُم ويَعرفَ حقهم فَعَلَ، قال: فكره ذلك عبد الملك وأعرض عنه، وجعل جابر يُلح عليه حتى أَوْمَأ قبيصَة إلى ابنهِ وهو قائِده، وكان جابر قد ذهبَ بصرهُ أن سَكِّتْهُ. قال: فجعل ابنُه يُسكِّتُهُ.

(3) ذكرنا أن جابرًا توفي سنة ثمان وسبعين وهو الصحيح خلافًا لمن قال سنة 74 فإن من المعلوم أن الذي صلى عليه كان أبان بن عثمان وهو تولى المدينة سنة 75 هـ.

كما أنه ينسجم مع ما ورد في روايات اللقاء من كون الإمام الباقر حين اللقاء غلامًا، ولو حسبنا عمره الشريف بالقياس إلى ما قبل سنة 75 هـ لكان عمره في ذلك الوقت 19 سنة أو دونها. وأوضح من ذلك لو كانت الحادثة سنة 72 أو 71 هـ.

فإذن حتى على ما جاء في روايات مصادر مدرسة الخلفاء من أن جابرًا قد كف بصره أواخر عمره، لا يمنع أن يكون اللقاء قد حدث قبل أن يفقد بصره.

ولم يكن هذا اللقاء هو اللقاء الوحيد بينهما بل أصبح فاتحة للقاءات كثيرة بينهما، فقد وردت الروايات من طرق الإمامية عن أن الإمام الباقر ـ وفي زمان أبيه السجاد ـ أصبح كثير التردد على جابر بن عبد الله الأنصاري في منزله.

دروس زيارة الإمام الباقر لجابر الأنصاري:

قد ذكرنا في الفصل الخاص بجابر بن عبد الله الأنصاري من كتاب: أصحاب النبي محمد، أنه ترتبت فوائد كثيرة على زيارة الإمام الباقر ـ في حياة أبيه السجاد ـ عليهما السلام لجابر وتردده عليه في منزله؛ فمنها:

- إجلال منزلة جابر كصحابي لرسول الله وهذا ما يكذب الأحدوثة

الأموية والتي استمرت فيما بعد من اتهام شيعة أهل البيت بعداء الصحابة أو التهجم عليهم! فهذا ابن إمامهم يوقر جابرًا ويعظم منزلته ويذهب زائرًا إليه في بيته. وفيه أيضًا معنى التمييز بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم ليسوا في كفة واحدة.

وتعظيم شأن جابر الأنصاري كشخص حيث أنه ممن أحسن الصحبة لرسول الله وتابع المسيرة مع وصيه أمير المؤمنين، بل واستمر على ولاء أئمة الهدى عليهم السلام.

- ومن ذلك فإن الزيارة لجابر والسماع منه يجعل قسمًا من الناس وهم أتباع مدرسة الخلفاء ينظرون إلى روايات وأحاديث الإمام الباقر عليه السلام على أنها متصلة برسول الله وغير منقطعة الاسناد[1] وذلك من خلال جابر الذي ينقل عنه ـ فرضًا ـ الإمام محمد الباقر عليه السلام.

مع أننا نعتقد ـ وهو مؤدى الرسالة التي نقلها جابر مع سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن محمدًا بن علي هو باقر علم الأولين والأخرين ـ فلا يحتاج إلى أحاديث جابر الأنصاري ولا غيره، ولكن كان هذا الاتصال والزيارة يحمل هذه الفائدة.[2]

(1) يعبر عن هذه الفكرة الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ـ ط الرسالة» (4/ 403) بقوله: «اتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر».

(2) آل سيف؛ فوزي: أصحاب النبي محمد ص 199.

6/ الإمام الباقر وقضية النقد الإسلامي:

عندما يرجع القارئ إلى كتب التاريخ الرسمي، والتي تؤرخ للخلفاء يجد أن من منجزات الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أنه سكَّ العملة النقدية الخاصة بالمسلمين، وكان المسلمون قبل ذلك يتعاملون بالنقد الروماني، وهذا طبيعي فإن التاريخ يكتبه المتغلبون وحسب ما يريدون، من غير اهتمام لما جرى واقعًا، وربما يكون إعراض الناس عن التأثر بهذا التاريخ، وعدم تأثرهم بما جاء فيه، راجعًا لهذا السبب.

ومما ذكروه أن عبد الملك بن مروان، وبمشورة من خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أقدم على تلك الخطوة فحرر النقد الإسلامي من السيطرة الأجنبية.

وقد بحثنا في كتابنا «سيد العابدين» هذه المسألة بالتفصيل من الناحية التاريخية، وقلنا هناك ما مختصره: إنه قد ذكر إبراهيم بن محمد البيهقي في كتابه المحاسن والمساوئ ناقلًا عن الكسائي القصة المفصلة التالية: قال الكسائيّ:[1] دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير قد شقّ عنه البُدَر شقًّا وأمر

(1) الكسائي علي بن حمزة الأسدي بالولاء إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة توفي سنة (189 هـ).

بتفريقه في خدم الخاصّة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمّله، وكان كثيرًا ما يحدّثني، فقال: هل علمت من أوّل من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي غير أنّه أوّل من أحدث هذه الكتابة.

فقال: سأخبرك، كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيًا على دين الملك ملك الروم، وكانت تطرّز بالرومية وكان طرازها أبًا وابنًا وروحًا قدّيسًا. فلم يزل كذلك صدر الإسلام كلّه يمضي على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك فتنبّه عليه وكان فطنًا، فبينا هو ذات يوم إذ مرّ به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربيّة ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما تعملان بمصر وغير ذلك ممّا يطرّز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرّزت بشرك مثبت عليها !

فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر

وغير ذلك وأن يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد: وشهد اللّه أنّه لا إله إلّا هو. وهذا طراز القراطيس خاصّة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغيّر. وكتب إلى عمّال الآفاق جميعًا بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرّزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل.

فلمّا أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضبًا وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرّز هناك للروم ولم يزل يطرّز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدّمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الخلّتين أيّتهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهديّة تشبه محلّك وأحببت أن تجعل ردّ ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرّز من أصناف الأعرق حاجة أشكرك عليها وتأمر بقبض الهديّة. وكانت عظيمة القدر.

فلمّا قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهديّة. فانصرف بها إلى صاحبه، فلمّا وافاه أضعف

الهديّة وردّ الرسول إلى عبد الملك وقال: إني ظننتك استقللت الهديّة فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي فأضعفت لك الهديّة وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه من ردّ هذا الطراز إلى ما كان عليه أوّلًا. فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه وردّ الهديّة. فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنّك قد استخففت بجوابي وهديّتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهديّة فأضعفتها فجريت على سبيلك الأوّل وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرنّ بردّ الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم، فإنّك تعلم أنّه لا ينقش شيء منها إلّا ما ينقش في بلادي. ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام. فينقش عليها من شتم نبيّك ما إذا قرأته ارفضّ جبينك له عرقًا، فأحبّ أن تقبل هديّتي وتردّ الطراز إلى كان عليه وتجعل ذلك هديّة بررتني بها ونُبقي على الحال بيني وبينك.

فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الأرض وقال: احسبني أشأم مولود ولد في الإسلام لأني جنيت على رسول اللّه، صلى الله عليه وآله وسلم، من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب. إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. وجمع أهل الإسلام

واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأيًا يعمل به. فقال له روح بن زنباع: إنّك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنّك تتعمّد تركه. فقال: ويحك من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبيّ ﷺ! قال: صدقت ولكنّه أرتج عليّ الرأي فيه.

فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين مكرمًا ومتّعه بمائتي ألف درهم لجهازه وبثلاث مئة ألف درهم لنفقته وأزح علّته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليّ. فلمّا وافى أخبره الخبر فقال له عليّ: لا يعظمنّ هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أنّ اللّه جلّ وعزّ لم يكن ليطلق ما يهددك به صاحب الروم في رسول اللّه ﷺ، والأخرى وجود الحيلة فيه.

قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصنّاع يضربون بين يديك سككًا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول اللّه ﷺ، أحدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسّنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهمًا عددًا من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن مثاقيل وعشرة منها وزن

خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعًا واحدًا وعشرين مثقالًا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدّة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصبّ سنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل.

وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنّما هي الكسرويّة التي يقال لها اليوم البغليّة لأن رأس البغل[1] ضربها لعمر بن الخطّاب، رحمه الله، بسكّة كسرويّة في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسيّ مكتوب بالفارسيّة: نوش خر، أي كُل هنيئًا. وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالًا. والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستّة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السّميريّة الخفاف والثّقال، ونقشها نقش فارس.

ففعل عبد الملك ذلك. وأمره محمّد بن عليّ بن الحسين أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام وأن يتقدّم إلى الناس في التعامل بها وأن يتهدّدوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها وأن تبطل وتردّ إلى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الإسلاميّة.»[2]

(1) قيل: هو رجل يهودي كان يضرب الدراهم الفارسية أيام عمر بن الخطّاب.

(2) البيهقي؛ إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ ص 342، وذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى 1/ 97.

وقد ذكرنا هناك أن الفاعل الأكبر فيها كان هو الإمام السجاد عليه السلام،[1] حيث كانت في زمان وجوده عليه السلام ومن الطبيعي أنه لو أراد أحد التصدي لهذا الأمر فإنه سيكون الإمام السجاد نفسه، وهو شيخ بني هاشم ورئيس العترة النبوية، وكان الإمام الباقر عليه السلام في تاريخ هذه الحادثة يعد حدث السن (في العشرين من العمر)، وإمامًا صامتًا. وإن ما ورد في بعض الروايات ومنها رواية المحاسن من أن الباقر هو الذي دعي أو سافر للشام، إما أن يحمل على الاشتباه والتصحيف، أو على أن الباقر عليه السلام كان الشخص المباشر فيها بينما صاحب الخطة والتدبير كان والده الإمام السجاد، وهذا الأخير هو ما ذهب إليه بعض الباحثين.[2]

وأيًّا ما كان؛ فقد كان لأهل بيت النبوة عليهم السلام، الفضل في هذه القضية، وبهم حفظ الله هذه الأمة من الانهيار، مع أنهم أُبعدوا عن مواقعهم الطبيعية في القيادة والإمامة، بل وأوذوا وأهينوا وقتلوا!

وإن الإمام الباقر عليه السلام، سواء كان هو صاحب القضية تمامًا كما هو مفاد رواية المحاسن والمساوئ، وكما هو المعروف من كثير

(1) انظر البداية والنهاية وغيره.

(2) ينظر: السيد جعفر مرتضى العاملي في دراسات وبحوث 1/ 127.

من الكتاب المعاصرين، أو كان المباشر والمنفذ لتعليمات والده الإمام السجاد عليه السلام فقد كان صاحب المنة على هذه الأمة.

7/ الإمام الباقر وحكام عصره:

عاصر الإمام محمد الباقر عليه السلام ستة من الحكام الأمويين بدءًا من عبد الملك بن مروان (واستثنينا يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم لصغر سن الإمام عليه السلام فترة حكمهما)، فعاصر حكم عبد الملك بن مروان (من 67 ـ 86 هـ) وهو في تلك الفترة يتراوح عمره الشريف بين عشر سنوات إلى تسع عشرة سنة، ثم الوليد بن عبد الملك (من 86 ـ 96 هـ) وكان عمره الشريف فيها ما بين تسع عشرة سنة إلى تسع وعشرين سنة، ثم سليمان بن عبد الملك (من 96 ـ 99هـ) وعمره عليه السلام من تسع وعشرين إلى اثنتين وثلاثين سنة، وفيها بدأت إمامته الفعلية بعد شهادة أبيه علي بن الحسين السجاد عليه السلام سنة (95 هـ).

وعاصر في أيام إمامته الفعلية زمان عمر بن عبد العزيز بن مروان (من سنة 99 ـ 101 هـ)، وعمره حينها حوالي اثنتين وأربعين، إلى خمس وأربعين سنة، ثم زمان يزيد بن عبد الملك (من سنة 101 ـ 105 هـ) وأخيرًا عاصر شطرًا من زمان هشام بن عبد الملك والذي بدأ في سنة (105 هـ) واستشهد عليه السلام مسمومًا

بتدبير هشام كما سيأتي، في سنة 114 هـ، وعمره حينها سبع وخمسون سنة.

ولا نجد في تاريخ عبد الملك بن مروان من ارتباط بينه وبين الإمام الباقر عليه السلام، إلا ما يذكر في موضوع سك النقود والأزمة التي كادت تخنق السوق والاقتصاد في بلاد المسلمين، والتي انتهت بتدبير الإمام السجاد عليه السلام وتنفيذ الإمام الباقر، وقد ذكرنا هذا في صفحات سابقة، بشكل مختصر، كما شرحناه مفصّلاً في كتابنا عن الإمام السجاد «سيد العابدين».

وكان الإمام الباقر قد باشر حل المسألة، وسافر إلى الشام وكان ذلك في نحو سنة 76 هـ، أي أن عمر الإمام عليه السلام كان حينها في التاسعة عشر من العمر.

ولا نجد غير هذه الحادثة من الارتباط بين عبد الملك والإمام عليه السلام، لا سيما وأن الإمام في ذلك الوقت كان في ظل أبيه السجاد عليهما السلام، وكان بمثابة الإمام الصامت.

وما ورد في الكثير من الكتب[1] التي أرّخت للإمام الباقر من أن عبد الملك بن مروان كتب لوالي المدينة على أثر وشاية

(1) الحديثة كأعيان الشيعة وأعلام الهداية وموسوعة أهل البيت بل وتنقيح المقال للمامقاني والقديمة نسبيًا مثل البحار ومدينة المعاجز والعوالم..

زيد بن الحسن بن علي له (في قضية تأتي): «أن ابعث إلي بمحمد بن علي مقيدًا. وقال لزيد: أرأيتك إن وليتك قتله تقتله؟ قال: نعم.

فلما انتهى الكتاب إلى العامل أجاب عبد الملك: ليس كتابي هذا خلافًا عليك يا أمير المؤمنين، ولا أرد أمرك، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك، وإن الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعف منه، ولا أزهد، ولا أورع منه، وإنه ليقرأ في محرابه، فيجتمع الطير والسباع تعجبًا..»[1] فلا بدَّ أن يحمل على الاشتباه. والأساس في ذلك هو ما أورده القطب الراوندي في الخرائج، ويمكن أن يعرف الاشتباه مما تقدم في ذكر معاصرة الإمام للخلفاء.

والصحيح هو أن هذه الحادثة لا يمكن أن تكون قد وقعت في أيام عبد الملك وإذا صح حدوثها فينبغي أن تكون في زمان هشام ابنه، وسيأتي الكلام في هذه الجهة أيضًا.

(1) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح 2/ 602 وقد وصفها السيد الخوئي في المعجم 8/ 352 بالقول انها: «رواية طويلة تتضمن معارضة زيد بن الحسن، الباقر عليه السلام، وذهابه إلى عبد الملك وسعيه في قتل الباقر عليه السلام، ونسبة السحر إليه ومباشرته لقتله بإركابه السرج المسموم، إلا أن الرواية مرسلة، على أنها غير قابلة للتصديق، فإن عبد الملك لم يبق إلى زمان وفاة الباقر عليه السلام جزمًا، فالرواية مفتعلة.»

كما ينقل نفس النزاع بين زيد بن الحسن هذا وبين أبي هاشم بن محمد بن الحنفية على صدقات أمير المؤمنين عليه السلام[1] زمان الوليد بن عبد الملك.

ولا نجد في أيام الوليد بن عبد الملك حدثًا خاصًّا يرتبط بالإمام الباقر عليه السلام، ولعل ذلك لما سبق أن قلناه من أن الإمام الباقر عليه السلام كان في عهد أبيه السجاد ضمن خطة أبيه، وبالتالي فلم يكن له دور إلا بالتبع لأدوار أبيه.

وهكذا الحال بالنسبة لأيام سليمان بن عبد الملك وهي على اختصارها ـ 3 سنوات ـ كان شطر منها قبل إمامة الإمام عليه السلام. لتأتي بعد ذلك أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بن مروان.

سوف نجد تغيّرًا في المزاج الحاكم بمجيء عمر بن عبد العزيز، فإذا به يجمع العلماء والفقهاء ويستنصحهم، سواء أيام ولايته على المدينة (من سنة 87 ـ إلى سنة 93 هـ) أو أيام خلافته (من سنة 99 إلى 101 هـ) والتي صادفت فترة إمامة الباقر عليه السلام.

(1) وقد ذكرنا في كتابنا سيد العابدين أن الوليد بن عبد الملك قد سجن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية بوشاية زيد بن الحسن، فذهب إلى الشام متوسطًا في إطلاق سراحه وشفيعًا في ذلك وغسل ما كان زيد بن الحسن قد أوغر صدر الوليد عليه، وأن ذلك مما يكون بين بني العمومة.. واستطاع إقناع الوليد بإطلاق سراح أبي هاشم.

سوف يستمع عمر بن عبد العزيز إلى نصائح الإمام الباقر بعدما جاء إليه، وحين أعلن عن استعداده لرد مظالم الناس كان نحلة الزهراء فدك مما رده بسعي الإمام الباقر، فقد روى «هشام بن معاذ قال: كنت جليسًا لعمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتى محمّد بن علي يعنى الباقر عليهما السلام، فدخل إليه مولاه مزاحم، فقال: إنّ محمّد بن علي بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدّموع.

فقال له محمّد بن علي: ما أبكاك يا عمر، فقال هشام: أبكاه كذا وكذا يا بن رسول اللّه فقال محمّد بن علي: يا عمر إنّما الدنيا سوق من الأسواق، منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرجوا بما يضرّهم، وكم من قوم قد ضرّهم بمثل الّذي أصبحنا فيه حتّى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدّنيا ملومين، لما لم يأخذوا لما أحبّوا من الآخرة عدّة، ولا ممّا كرهوا جنّة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم.

فنحن واللّه محقوقون أن ننظر إلى تلك الأعمال الّتي كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها، وننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نتخوّف عليهم منها، فنكفّ عنها، فاتّق اللّه، واجعل في قلبك اثنتين: تنظر الّذي تحبّ أن يكون معك، إذا قدمت على ربّك،

فقدّمه بين يديك، وتنظر الّذي تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فابتغ فيه البدل ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك.

اتّق اللّه عزّ وجل يا عمر، وافتح الأبواب وسهل الحجاب، وانصر المظلوم، وردّ الظالم، ثم قال: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان باللّه فجثا عمر على ركبتيه، ثم قال: إيه يا أهل بيت النبوة، فقال: نعم يا عمر من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحقّ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له! فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما ردّ عمر بن عبد العزيز ظلامة محمّد بن عليّ فدكًا».[1] بل وجدنا أنه وفي خطوة قد تحسب تداركًا لما سلف من أسلافه يزيد في غلتها ويأمر بقسمتها في بني فاطمة عليها السلام، فقد روي أنه «عرض في نفس عمر بن عبد العزيز شيء من فدك، فكتب إلى أبي بكر (بن حزم) وهو على المدينة انظر ستّة آلاف دينار فزد عليها غلّة فدك أربعة آلاف دينار، فاقسمها في ولد فاطمة رضي الله عنها من بني هاشم، وكانت فدك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة، فكانت ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب».[2]

(1) مسند الإمام الباقر عليه السلام، ج 1، الشيخ عزيز الله عطاردي، ص 133

(2) نفس المصدر، ص 143

وكان ولاة المدينة في تعاملهم مع الإمام الباقر عليه السلام مرآة لمواقف الخلفاء في الشام.

وأما زمان يزيد بن عبد الملك فلا نجد عنه خبرًا في هذا الجانب! كيف؟ وقد استولت على كل أمنياته في الدنيا حبّابة الجارية، ولم يعد له هدف أو طموح ينتظره غير لقائها[1] وأسعده على ذلك عدد من شهود الزور والباطل الذين شهدوا أنه ما على الخلفاء حساب [2] ولا عقاب!! فقضوا على أي فكرة صالحة عنده وإن كانت نظرية!

وإنما كان الزمان الصعب بالنسبة للإمام عليه السلام هو زمان هشام بن عبد الملك (بدأت خلافته من 105 هـ) فقد عاصره الإمام عليه السلام نحو تسع سنوات حتى استشهد بتخطيط هذا الحاكم سنة

(1) الطبري ؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك 7/ 23 « حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبابة ـ وكان اسمها العالية ـ بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن حَنيف. فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد، فردّ يزيد حَبابة فاشتراها رجل من أهل مصر، فقالت سعْدة ليزيد: يا أمير المؤمنين، هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم حَبابة، فأرسلت سَعدة رجلًا فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وصنّعتها حتى ذهب عنها كَلال السفر، فأتت بها يزيد، فأجلستها من وراء الستر، فقالت: يا أمير المؤمنين، أبقي شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسأليني عن هذا مرّة فأعلمتُك! فرفعت الستر، وقالت: هذه حَبَابة، وقامت وخلّتها عنده».

(2) ابن عساكر؛ علي بن الحسن ابن هبة الله: تاريخ دمشق 65/ 304 عن عَبْد الرَّحْمَن بن زيد بْن أسلم قَالَ: لَمَّا توفِّي عُمَر بن عَبْد العزيز وولى يزيد قَالَ: سيروا بسيرة عُمَر بْن عَبْد العزيز، قَالَ: فأتي بأربعين شيخًا فشهدوا لَهُ: ما عَلَى الخلفاء حساب ولا عذاب»

(114هـ)، وعاصر الإمام أيضًا إبراهيم بن هشام المخزومي وكان ـ هو وأبوه من قبل ـ سيئي العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام.

وتتراوح هذه العلاقة فيما بين:

1/ الأسئلة الصعبة التي يقصد منها في زعم هشام تعجيز الإمام عليه السلام عن الإجابة وآنئذ يشاع عنه بأنه ليس بعالم وبأنه لم يجب على أسئلة الخليفة وهذا يعني أن الخليفة أكثر منه علمًا وبالتالي تبطل الميزة الكبرى التي كان يتميز بها أهل البيت عن غيرهم، وتبرر لهم ادعاء الإمامة العامة وأنهم يحملون علم القرآن والنبي وما يحتاج إليه الخلق، الأمر الذي لا يستطيع أن يدعيه غيرهم.

وبعض تلك الأسئلة كانت من صياغة بعض مرافقي هشام، وفقهاء السلطة، ومن الطبيعي أن هؤلاء الفقهاء سوف يسألون عن مسائل يصعب الإجابة عليها.

ويا ليت أن كانت هذه الأسئلة بغرض التعلم وفتح المغاليق والكشف عن المجاهيل، فإن الباقر عليه السلام حريٌّ بالكشف عنها وجدير ببقر بطونها وأعماقها.. ويا ليت أنها كانت سببًا في معرفة أولئك السلاطين بل والفقهاء من ورائهم للحق الذي كان عليه آل محمد! كلا لم يكن الأمر هكذا.

2/ استقدام الإمام الباقر عليه السلام إلى الشام لا لغرض واضح سوى الإتعاب والإهانة! وهنا إمّا أن يستجيب الإمام في كل مرة يتم استدعاؤه ليقطع هذه المسافة الطويلة ويتحمل وعثاء السفر! أو يرفض ذلك فيعد هذا منه موقفًا سياسيًّا معارضًا ويستحق العقوبة عليه!

وأحيانًا يكون الاستدعاء والجلب للشام لأمر يمكن إنجازه بوسائل أخر مثل، أن يستدعيه كل هذه المسافة ليسأله عن مسألة من المسائل! وكان بإمكانه أن يبعث له برسالة فيها تلك المسألة أو يرسل رسولا إليه.

ويظهر من أجواء الروايات أن هذا الأمر تكرر أكثر من مرة!

أما الأسئلة التعجيزية فيذكر منها ما كان في مكة المكرمة وقد: حجّ هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكئا على يد سالم مولاه ومحمّد بن علي بن الحسين عليه السلام جالس في المسجد، فقال له سالم يا أمير المؤمنين: هذا محمّد بن علي بن الحسين! قال هشام: المَفتون به أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال لـه أبـو جعفر عليه السلام: يحشـر النـاس علـى مثل قـرص النقـي فيها أنهار منفجـرة يأكلون ويشـربون حتـى يفرغ من الحسـاب! قـال فرأى هشـام أنّـه قد ظفـر بـه، فقـال: اللّـه أكبـر اذهـب إليه فقـل له يقـول لك ما أشـغلهم عـن الاكل والشـرب يومئذ!

فقال لـه أبـو جعفـر عليه السلام: هـم فـي النّـار أشـغل ولـم يشـغلوا عـن أن قالـوا أفيضـوا علينـا مـن المـاء أو ممـا رزقكـم اللّه، فسـكت هشـام لا يرجـع كلامًـا.[1]

ومثلهـا مـا جـرى بينـه وبيـن نافـع[2] مولـى عبـد الله بـن عمـر بـن الخطـاب وقـد حـج مـع هشـام بـن عبـد الملـك ؛ فنظـر نافـع إلـى أبـي جعفـر عليه السلام، فـي ركـن البيـت وقـد اجتمـع عليـه الخلـق فقـال: يـا أميـر المؤمنيـن مـن هـذا الـذي قـد تكافـأ عليـه النـاس؟ فقـال: هذا محمّد بـن علـي بـن الحسـين!

قال: لآتينّـه ولأسـألنّه عن مسـائل لا يجيبني فيهـا الّا نبـيّ أو وصي نبيّ !

(1) المصدر نفسه 54/ 279.

(2) قد ذكره ابن شهراشوب في المناقب بعنوان نافع الأزرق، وهو اشتباه فإن نافعًا وهو رأس فرقة الأزارقـة من الخوارج قتل في سنة 65 هـ، حين كان عمر الإمام الباقر حوالي ثمان سنوات! والصحيح هو ما ذكرناه في المتن من أنه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت 117 هـ).

قال: فاذهب إليه لعلّك تخجله فجاء نافع حتّى اتكّأ على الناس وأشرف على أبي جعفر.

فقال: يا محمّد بن علي إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها الّا نبيٌّ أو وصيّ نبيّ أو ابن نبيٍّ!

فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه، فقال: سل عما بدا لك! قال: أخبرني كم بين عيسى ومحمّد من سنة قال: أجيبك بقولك أم بقولي؟ قال: لا أجبني بالقولين! قال: أما بقولي فخمسمائة سنة وأما بقولك فستمائة سنة، قال: فأخبرني عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1] من الّذي سأل محمّد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟.

قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[2] كان من الآيات التي أراها محمّدًا حيث أسرى به إلى بيت المقدس، أنه حشر اللّه الأوّلين والآخرين، من النبيّين والمرسلين، ثمّ أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعًا وأقام شفعًا، وقال في

(1) الزخرف: 45.

(2) الإسراء: 1.

أذانه: «حيّ على خير العمل» ثمّ تقدّم محمّد ﷺ فصلّى بالقوم فلمّا انصرف قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[1].. إلى آخر الرواية.[2]

وثالث الشواهد ـ ولا نريد تكثير الأمثلة[3] مراعاة للاختصار ـ ما رواه الإمام الصادق ﷺ، وفيها ذكر أنه تم إشخاصه وإحضاره للشام ـ وكان معه ابنه الإمام جعفر ـ

«عن أبي عبد اللّه صلوات اللّه عليه، قال: بعث هشام بن عبد الملك إلى أبي ﷺ، فأشخصه إلى الشام، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا جعفر إنما بعثت إليك لأسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري، ولا ينبغي أن يعرف هذه المسألة إلا رجل واحد.

---

(1) الزخرف: 45.

(2) الكليني: الكافي 8/ 121: ونلاحظ هنا بعض الإشارات التي لها معان مهمة، مثل قوله: إن الناس تكافوا عليه، أي ازدحموا حوله يأخذون عنه. وأن نافعًا يعترف بأن من يجيب على تلك الأسئلة هو نبي أو وصي نبي وقد اعترف كما في نهاية الرواية بأنه أعلم الناس حقًّا! كما يلاحظ فيها التركيز على فصل «حيّ على خير العمل» في الأذان. وإذا تم سند الرواية فمن الممكن الاستدلال بها في أكثر من موضع في الفقه.
وهذا يشبه الإشارة التي في الرواية السابقة والتي تقول بأن الإمام هو الذي فُتن أهل العراق بمحبته، هذا مع العلم أن الإمام ﷺ لم يعش في العراق وإنما في المدينة!

(3) فقد جاء إليه أيضًا عكرمة تلميذ ابن عباس (ليمتحن) الإمام ﷺ فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه.. وعندما تعجب من نفسه حيث جلس مجالس كثيرة عند علماء كابن عباس ونظرائه فلم يحصل له شيء، أخبره الإمام أنه في بيوت أذن الله أن ترفع..

فقال له أبي: يسألني أمير المؤمنين عمّا أحبّ، فإن علمت أجبته،[1] وإن لم أعلم قلتُ: لا أدري وكان الصّدق أولى بي، فقال هشام: أخبرني عن الليلة التي قتل فيها عليٌّ بن أبي طالب، بما استدلّ الغائب عن المصر الذي قتل فيه على ذلك؟ وما كانت العلامة فيه للناس؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة؟ فقال له أبي: انه لما كانت الليلة التي قتل فيها عليٌّ صلوات اللّه عليه لم يرفَع عن وجه الأرض حجر الّا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت اللّيلة التي فقد فيها هارون أخو موسى عليهما السلام. وكذلك كانت اللّيلة التي قتل فيها يوشع بن نون، وكذلك كانت اللّيلة الّتي رفع فيها عيسى بن مريم (عليهما السلام)، وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها الحسين صلوات اللّه عليه.[2] فتربّد وجه هشام،

(1) هو من تواضع الإمام مع علمه بأنه من مصاديق ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: 38]. وأنه ابن من قال: «سلوني قبل أن تفقدوني».

(2) الموارد التي ذكر فيها ذلك وأيضًا يوم قتل أمير المؤمنين في كتب مدرسة الخلفاء كثيرة بالرغم من جهود أنصار الاتجاه الأموي لإخفائها تمامًا أو تضعيف المروي منها؛ ففي طبقات ابن سعد 6/ 455: «سمعت الزهري، يقول: سألني عبد الملك بن مروان، فقال: ما كان علامة مقتل الحسين؟ قال: لم تكشف يومئذ حجرًا إلا وجدت تحته دمًا عبيطًا» وفيه أيضًا: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت، فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ فقال ابن رأس الجال: ما كُشف يومئذ حجرٌ إلا وُجد تحته دم عبيط، وفي العقد الفريد 5/ 135 وفي المعجم الكبير للطبراني 3/ 113: ونقل خبر الزهري كذلك في دلائل النبوة للبيهقي 6/ 471: ونقل خبرَ رأس الجالوت، ابنُ عساكر في تاريخ دمشق 14/ 230 وغيرهم وفي إتحاف المهرة لابن حجر 19/ 682: ما رفع حجر بإيلياء ليلة قتل عليّ إلا وجد تحته دم عبيط.

وامتقع لونه. وهمّ أن يبطش بأبي فقال له أبي: يا أمير المؤمنين الواجب على النّاس الطّاعة لإمامهم والصدق له بالنّصيحة، وأنّ الّذي دعاني إلى ما أجبت به أمير المؤمنين فيما سألني عنه معرفتي بما يجب له من الطّاعة، فليحسن ظنّ أمير المؤمنين.

فقال له هشام: أعطني عهد اللّه وميثاقه ألّا ترفع هذا الحديث، إلى أحدٍ ما حييت فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه، ثمّ قال هشام: انصرف إلى أهلك إذا شئت»[1]

ويذكر المؤلفون عن هشام بن عبد الملك صفات تشير إلى اعتلاله النفسي، فهم يذكرونه بالبخل وقبض اليد (ومن يشابه أباه فما ظلم)! فقد قالوا إنه أبى على عامل له قد اهتم بضيعته حتى غلت غلة كثيرة باهتمام ذلك العامل بها فطلب من هشام عشرة دنانير هدية أو مكافأة فأباها عليه![2] ويقول أحدهم: «حج

(1) ابن قولويه ؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات ص 160 والغريب أنه بدلاً من مكافأة الإمام على هذا الجواب الذي قطع له المسافات، فإن هشامًا كما تقول الرواية ارسل بريدًا لولاته على الطريق ألا يستقبلوا قافلة الإمام وأن لا يكرموهم! ونحن لا نستبعد هذا من حكام كانوا معوقي الشخصيات ومعلولي النفوس!

(2) البلاذري؛ أنساب الأشراف 8/ 384 « وقالوا: ولى هشام مولى له ضيعة فعمرها حتى جاءت بغلة كثيرة، وعمرها أيضًا فأضعفت غلتها وحمل ما ارتفع من مالها مع ابنه، فقدم به على هشام فجزى أباه خيرًا، فلما سمع ذلك انبسط فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: زيادة عشرة دنانير في عطائي. قال: ما يظن أحدكم أن زيادة عشرة دنانير في العطاء إلا نقد الجوز، لا لعمري لا أفعل».

هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة، فأتى الكوفة فحج منها، فقال يزيد بن المر قال: كنت في اكرياته (العمال والأجراء)، فلم يأمر لنا بشيء».[1]

كما يذكرون عنه حالة من الحسد المرضي رأينا جانبًا منه فيما يرتبط بالإمام زين العابدين عندما تجاهل ذكر اسمه مع معرفته به وقد رأى الناس ينفرجون له في الطواف بينما كان قد أجهد هشام نفسه وهو أخ الخليفة حينها فلا يجد من يفسح له مترًا في الطواف، والقصة معروفة، حتى أنه أمر بسجن الفرزدق عندما مدح الإمام بقصيدته الميمية المشهورة.

بل كان يحسد الآخرين على أن لديهم صحة في البدن! فإنه لما «حج هشام بن عبد الملك فأتى المدينة فدخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قال هشام ما رأيت ابن سبعين أحسن كدنة منه فلما صار سالم في منزله حُمَّ فقال: أترون الأحول (يقصد هشامًا) لقعني بعينيه فما خرج هشام من المدينة حتى صلى عليه[2].. وفي تفصيل يذكره آخرون أنه لما «جاءه سالم بن عبد الله فأعجبته سحنته فقال له: أي شيء تأكل؟ قال:

(1) المصدر نفسه.

(2) ابن عبد البر: التمهيد ـ 6/ 239.

الخبز والزيت! قال: فإذا لم تشتهه؟ قال: أخمره حتى أشتهيه! فعانه[1] هشام، فمرض ومات فشهده هشام وأجفل الناس في جنازته فرآهم هشام فقال إن أهل المدينة لكثير فضرب عليهم بعثًا أخرج فيه جماعة منهم فلم يرجع منهم أحد فتشاءم به أهل المدينة وقالوا عان فقيهنا وعان أهل بلدنا».[2]

وخاتمة المطاف نذكر تفاصيل تلك الرحلة المتعبة التي استقدم فيها الإمام محمدًا الباقر وابنه جعفرًا الصادق إلى الشام..

وقد تكثرت الروايات التي تنقل تفاصيل ذلك الاستدعاء والاستحضار، وهنا قد يكون كل ما حصل هو في سفرة واحدة تلت مجيئه غير الميمون إلى الحج ثم المدينة، أو أنها أكثر من سفرة.

وهم ينقلون أن هشامًا قد حج لمكة مرتين ؛ إحداهما أيام خلافة أخيه الوليد، وهي التي حصل فيها الحادثة مع الإمام السجاد وأشرنا لها آنفا. والمرة الأخرى كانت في سنة 106 هـ في

(1) بغض النظر عن إيماننا بتأثير العين في أبدان الآخرين وعدمه وقد تعرضنا له في كتابنا الامراض الأخلاقية، فإن حسد خليفة يملك الشرق والغرب ولمدة تصل إلى 20 سنة، لشخص لأن سحنته لطيفة أو طوله ممشوق أو أنه لا يظهر عليه الشيب وهو في عمر متقدم.. ليدل على اعتلال نفسي صعب.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق 20/ 68.

أيام خلافته. وفي هذه قد جرى بينه ـ أو بين فقهائه ـ وبين الإمام في مكة بعض الحوارات وسُمِع الإمام الباقر عليه السلام يقول: «الحمد للّه الذي بعث بالحقّ محمّدًا نبيًّا وأكرمنا به فنحن صفوة اللّه على خلقه وخيرته من عباده فالسعيد من اتّبعنا والشقي من خالفنا ومن الناس من يقول أنّه يتولّانا وهو يتولّى أعداءنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربنا ولم يعمل به». يقول الإمام الصادق عليه السلام: «فأخبر مسلمة بن عبد الملك[1] أخاه فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة فأنفذ بريدًا إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه فأُشخصنا إليه؛

- فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطين متسلحين وقد نصب البرجاس[2] حذاءه وأشياخ قومه يرمون فلما دخل أبي وأنا خلفه ما زال يستدنينا منه حتى حاذيناه وجلسنا قليلًا فقال لأبي: يا أبا

(1) مَسْلَمَة بن عبد المَلِك بن مروان ت 120 قائد عسكري من بني أمية أرسله أخوه سليمان بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وولّاه أخوه (يزيد) إمرة العراقين ثم أرمينية، وكان مقربًا من أخيه هشام بن عبد الملك.

(2) البرجاس: غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه يرمى عليه بالسهام.

جعفر لو رميتَ مع أشياخ قومك الغرض! وإنما أراد أن يضحك بأبي ظنًّا منه أنّه يقصر فلا يصيب الغرض لكبر سنه فيشتفي منه.

فاعتذر أبي وقال: إني قد كبرت فإن رأيت أن تعفيني!

فلم يقبل وقال: لا والذي أعزّنا بدينه ونبيه ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية؛ أن أعطه قوسك فتناولها منه أبي وتناول منه الكنانة فوضع سهمًا في كبد القوس فرمى وسط الغرض، فاثبته فيه، ثم رمى الثاني فشقّ فوق السهم الأوّل إلى نصله، ثم تابع حتى شق تسعة أسهم فصار بعضها في جوف بعض!

وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك أن قال: أجدتَ يا أبا جعفر فأنت أرمى العرب والعجم زعمت أنك قد كبرت! كلّا!.

ثم ندم على مقالته وتكنيته له وكان من تكبره لا يكنّي أحدًا في خلافته فأطرق إطراقة يرتئي فيه رأيًا وأبي واقفٌ إزاءه ومواجه له وأنا وراء أبي، فلما طال الوقوف غضب أبي وكان إذا نظر إلى السماء نظر غضبان يتبين الغضب في وجهه، فلما نظر هشام ذلك من أبي قال: اصعد يا محمّد، فصعد أبي السرير، وصعدت فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه واقعده عن يمينه ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي واقبل على أبي بوجهه وقال: يا محمّد لا

تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك! وللّه درُّك من علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلّمته؟ فقال أبي: قد علمت أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ثم تركته، فلمّا أراد أمير المؤمنين مني ذلك عدت إليه.

فقال: ما رأيتُ مثل هذا الرمي قط مذ عقلتُ! وما ظننت أن أحدًا في أهل الأرض يرمي مثل هذا فأين رمي جعفر من رميك؟

فقال: إنا نتوارث الكمال والتمام والدين إذ انزل اللّه تعالى على نبيه قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]. فالأرض ممن يكمل دينه لا تخلو فكان ذلك علامة هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا!

فلما سمع ذلك انقلبت عينه اليمنى فاحولّت واحمرّ وجهه، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ثم أطرق هنيهة ورفع رأسه إلى أبي وقال ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحدًا؟

فقال أبي: ونحن كذلك ولكنّ اللّه جل ثناؤه اختصّنا بمكنون سرّه وخالص علمه ما لم يختصّ أحدًا غيرَنا!

فقال: أليس اللّه بعث محمّدًا من شجرة عبد مناف إلى الناس

(1) المائدة: 3.

كافة أبيضها وأسودها وأحمرها فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول اللّه مبعوث إلى الناس كافة ومن أين أورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيٌّ وما أنتم أنبياء؟.

فقال أبي: من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[1] فالذي أبداه فهو للناس كافة والذي لم يحرك به لسانه أمر اللّه تعالى أن يخصنا به دون غيرنا فلذلك كان يناجي به أخاه عليًّا دون أصحابه وأنزل اللّه تعالى قرآنا فقال: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2] فقال له رسول اللّه بين أصحابه، سألت اللّه أن يجعلها، اذنك يا عليُّ، ولذلك قال عليّ بالكوفة: علّمني رسول اللّه ألف باب من العلم ينفتح من كلّ بابٍ ألفُ باب خصه رسول اللّه من مكنون علمه ما خصه اللّه به فصار إلينا وتوارثنا، من دون قومنا.[3]

8/ الإمام الباقر وأسفار الشام:

كانت دمشق عاصمة الدولة الأموية السياسية، وقد تركز فيها الأمويون وبنوا فيها نفوذهم منذ أن تولاها أول والٍ عليها منهم في أيام عمر بن الخطاب، وهو يزيد بن أبي سفيان، وتركز هذا النفوذ

(1) القيامة: 16.

(2) الحاقة: 12.

(3) (الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الامامة ص 235.

بمجيء أخيه معاوية بن أبي سفيان وتنصيبه من قبل عثمان بن عفان ويظهر أن معاوية اعتبر ذلك «تمليكًا» لبني أمية، وصارت عاصمة الدولة بشكل رسمي أيام آلَت الخلافة لمعاوية، والذي استمر فيها نحو عشرين سنة، بل حتى عندما حصلت الفتن الداخلية بين الأمويين ومنافسيهم وبين الأمويين أنفسهم كان الذي يسيطر عليها يمتلك نقطة القوة الأكبر.

واستمر بنو مروان بعد ان انتهى دور بني سفيان في دمشق، وكان إدارة الحرب والسيطرة على المناطق منها، وإذا أرادوا شخصًا كان يُستدعى أو يُجلب، ويختلف نحو استدعائه باختلاف الموقف منه، فقد يكون بنحو شديد وحالة مهينة وقد يكون بصورة أخف، ولكن في كل الأحوال كان السفر من المدينة المنورة إلى دمشق صعبًا،[1] ولم أجد في النصوص التاريخية ما يحدد عدد تلك السفرات، ولكن من خلال الروايات وأجوائها يمكن أن نحتمل ثلاث سفرات حصلت للإمام الباقر عليه السلام:

الأولى: ما يفترض حصولها مع سفر الإمام الباقر عليه السلام في قضية

(1) تختلف المسافة بحسب الطريق فبينما هو بالمقياس الجوي حوالي 1300 كيلومتر، هو بطريق سكة الحديد (العثمانية) 1460 كيلو، وقد تكون بحسب سير الجمال في الأزمنة السابقة أقل أو أكثر.

النقد، والتي سبق الحديث عنها، وسواء قبلنا الرأي المعروف وهو القائل بأن عبد الملك بن مروان قد أرسل لواليه على المدينة أن يجهز الإمام الباقر تجهيزًا حسنًا وأن يطلب منه المجيء لدمشق للتشاور حول حل أزمة النقد. أو قلنا ـ كما هو الصحيح في رأينا ـ بأن الذي تولى الأمر كان الإمام زين العابدين وأنه أرسل ابنه الباقر عليه السلام ليباشر حلها إلى دمشق بالتعاون مع الخلافة. فكانت هذه أولى سفراته للشام وأجواؤها كانت معقولة باعتبار أن الإمام كان في حل مشكلة لرأس الدولة.

الثانية: وهي السفرة التي تلت مجيء هشام بن عبد الملك وهو حاكم إلى الحج في سنة 106 هـ، والتي نقلنا بعض ما جاء فيها في صفحات ماضية، وكان الإمام الباقر عليه السلام يخطب في الناس مشيرًا إلى فضل أهل البيت عليهم السلام، وداعيًا الناس إلى اتباعهم، وقد أخبر مسلمة بن عبد الملك أخو هشام غير الشقيق إياه بخطاب الإمام فلما رجع هشام إلى الشام استدعى الإمام الباقر وبالفعل فقد سافر إليه ومعه ابنه الإمام الصادق عليه السلام، وهذه هي التي حصل فيها محاولات من هشام لإهانة الإمام عليه السلام، بدأت من حجبه أيامًا بعد وصوله إلى دمشق، ثم إجباره على أن يشارك في عملية اللهو والرمي بالبرجاس؛ مع أن الإمام حاول الاعتذار من ذلك إلا أنّ

هشامًا لما كان يريد ـ بزعمه ـ أن يسخر من خطأ الإمام وعدم إصابته الغرض وأن يضحك الحاضرين، لم يعفِ الإمام ولم يقبل اعتذاره! وأبى الله سبحانه إلا أن يظهر فضيلة من فضائل الإمام على رؤوس الأشهاد.

ولم يضيع الإمام الفرصة فشرح له وللحاضرين أنهم يتوارثون الكمال وأن هذا لا يختص به فقط وإنما يكون لمن أراد الله إكمال دينه بهم!

ومن الواضح أن أجواء هذه السفرة كانت عدائية من بدايتها إلى نهايتها، فإن أصل الاستدعاء كان على أثر وشاية مسلمة ونفس الاستدعاء كان بغرض المحاسبة، وبعد الوصول كان الحجب والتعطيل للإمام مع أنه جاء من هذا السفر الطويل وبطلب من الحاكم واستمر الحجب أيامًا، ثم نفس أجواء اللقاء حيث أراد هشام إحراج الإمام والسخرية منه، فضلا عن الحوار الذي دار بينهما وفيه كان هشام غاضبا من فكرة اختصاص أهل البيت وتقدمهم على من سواهم من قريش.

ولعل في هذه السفرة وفي مدة الانتظار والحجب التي استمرت أيامًا حصل حوار الإمام الباقر عليه السلام مع الحبر النصراني الذي كان يتوجه إليه المسيحيون بل وقسم من المسلمين وأنه لا

يظهر إلا في أوقات نادرة من السنة، فكانت تلك الحادثة أيضًا مظهرًا من مظاهر علم الإمام وباقريته وكشفه لما كان مغطىً من علم آل محمد، وننقل هنا جانبًا منها:

«عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام كنت بالشام وأنا متوجه إلى بعض ملوك بني أمية فإذا قوم في جانبي فقلت: أين تريدون؟ قالوا: عالمٌ لنا لم نرَ مثله، يخبرنا بمصلحة شؤوننا فاتّبعتهم حتّى دخلوا برجًا عظيمًا فيه بشرٌ كثيرٌ. فلم ألبث أن خرج شيخٌ كبيرٌ متوكئًا على رجلين قد سقط حاجباه على عينيه، فشدّهما حتى بدت عيناه فنظر إليّ فقال: أمنّا أنت أم من الأمة المرحومة؟ قلت: من الأمة المرحومة، قال: أمن علمائها أم من جُهّالها؟ فقلت: لا من علمائها ولا من جهالها، فقال: أنتم تزعمون أنكم تذهبون إلى الجنة فتأكلون وتشربون ولا تُحدِثون قلت: نعم! قال: فهاتِ على هذا برهانًا! قلت: الجنين يأكل في بطن أمه ويشرب ولا يُحدث، فقال: ألستَ قلتَ إنك لستَ من علمائها؟ قلت: وقلت ولا من جُهّالها.

قال: فأخبرني عن ساعة ليست من النهار ولا من اللّيل؟

قلت: هذه الساعة التي هي من طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس لا نعدّها من ليلنا ولا من نهارنا! فنظر إليّ متعجّبًا وقال: ألستَ قلتَ إنك لست من علمائها؟ ثم قال: أما واللّه لأسألنّك

مسألة ترتطم فيها ارتطام الثور في الوحل؛ أخبرني عن رجلين ولدا في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، عاش أحدهما خمسين سنة ومائة سنة وعاش الآخر خمسين سنة؟ قلت: ثكلتك أمك ذلك عزير وعزرة، عاش هذا خمسين عامًا، ثم أماته الله مائة عام، ثم بعثه فقال: كم لبثتَ؟ قال: يومًا أو بعض يوم. وعاش خمسين ومائة عام، ثم ماتا جميعًا.

فقال النصراني غاضبًا: واللّه لا كلّمتك كلمة ولا رأيتم لي وجهًا اثني عشر شهرًا إذا أدخلتم هذا عليّ.[1]

ولعلها السفرة نفسها التي ذكر فيها بعض التفاصيل المشيرة إلى عدم احترام هشام بن عبد الملك للإمام عليه السلام كما أورد ذلك الكليني في الكافي وابن شهراشوب في المناقب حيث جاء فيهما ما حاصله أنه: «لمّا حمل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك، وصار ببابه قال هشام لأصحابه: إذا سكتُّ من توبيخ محمّد بن علي فلتوبّخوه ثم أمر أن يؤذن له فلما دخل عليه أبو جعفر عليه السلام، قال بيده السلام عليكم فعمهم بالسلام جميعًا ثم جلس فازداد هشام عليه حنقًا بتركه السلام بالخلافة وجلوسه بغير إذن، فقال يا محمّد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شقّ

(1) الكليني: الكافي 1/ 471 ودلائل الامامة للطبري (الشيعي) ص 230.

عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الإمام سفَهًا وقلة علم وجعل يوبّخه.

فلما سكت أقبل القوم عليه رجل بعد رجل يوبّخه فلما سكت القوم نهض قائما ثم قال: أيها الناس أين تذهبون وأين يراد بكم، بنا هدى اللّه أولكم وبنا يختم آخركم، فإن يكنْ لكم ملك معجل فإنّ لنا ملكًا مؤجلًا وليس من بعد ملكنا ملك لأنّا أهل العاقبة يقول اللّه عز وجل والعاقبة للمتقين.. فأمر به إلى الحبس، فلما صار في الحبس تكلم فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشّفه وحنّ عليه فجاء صاحب الحبس إلى هشام وأخبره بخبره فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة، وأمر ألّا تخرج لهم الأسواق وحال بينهم وبين الطعام والشراب..»[1]

الثالثة: هي السفرة التي استدعى فيها الإمام عليه السلام لكي يسأله عن الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام وما حصل فيها.. والغريب أنه يعتقد أن من يجيب فيها لا بدَّ أن يكون نبيًّا أو وصي نبي وقد أجاب الإمام عليه السلام عن ذلك واستدل فيها على مقاله بنظير

(1) ذيل هذه الرواية يتفق مع روايات أخر من أنه هشامًا أمر ولاة المناطق التي تمر بها قافلة الإمام ألّا يزودوهم بالمؤونة.. ولكنها تضيف شيئًا تنفرد به وهو أن هشاما أمر بالإمام إلى الحبس وأن المسجونين فيه قد استقبلوه وأحاطوا به، فأبلغ آمر الحبس هشاما بذلك فعجل بإطلاقه..

حصل في التاريخ. و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، ولا نعلم هل كانت هذه السفرة هي الثانية في الترتيب أو هي الثالثة كما لم يذكر في المصادر التاريخية إشارة تنبئ عن سنة حدوثها.

9/ شهادته مسمومًا

في سنة 114 هـ استشهد الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام مسمومًا بتدبير الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك وقد قال بعضهم بتنفيذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك وهناك رأيان حول الكيفية التي تم تسميم الإمام بواسطتها، أحدهما أنه تم تسميمه بواسطة سرج مسموم فلما ركب عليه الإمام حصل له ذلك التسمم.

ونشير هنا إلى ما نختاره في نقاط:

1/ إن فرضية تسميم الإمام وأنه لم يمت حتف أنفه، يساعد عليها بالإضافة إلى ما جاء في روايات كثيرة والمعتبر منها غير قليل من أنه «ما منا إلا مسموم أو مقتول» وما يشابه هذا المعنى مما ذكرناه في كتابنا سيد العابدين، يساعد عليها أن الاغتيال بالسم قد أصبح عرفًا سائدًا ووسيلة منتشرة في

(1) ق:37.

(2) الزمر: 22.

الحكم الأموي، لخفاء هذه الطريقة عن عامة الناس بخلاف ما إذا قتل بالسيف فإنه يجر إلى ردود فعل لا تريدها السلطة، وكان من ينازع الحاكم (أو من يتصور الحاكم أنه ينازعه) يتم التخلص منه، ولو كان ابنًا أو أخًا فضلًا عمّا إذا كان من غير الأقارب! وكان الحكام يتخذون الأطباء (النصارى) وأحيانًا الهنود ممن يعرفون خواص المواد والسموم لأجل مثل هذه المهمات، بل وكانوا يستوردون هذه السموم من بلاد الروم. وقد أشرنا في موضع آخر من هذه السلسلة إلى هذا الأمر بنحو مفصل.

2/ إن من الواضح أن الحاكم الأموي هشامًا بن عبد الملك مع ما كان عليه من شخصية معتلة نفسيّا (من خلال الشعور بالنقص لحَوَل عينه، والحسد لمن هو متفوق،[1] والاعتراض الدائم على أهل البيت وخصوصًا الإمام الباقر من أنه كيف يقولون إنهم أفضل والحال أنهم يشتركون معهم في الانتساب لعبد مناف.. وما مرَّ من حديث سابق) كان يعتبر الإمام الباقر عليه السلام منافسًا له بل عدوًّا ولذلك كان يحاول

(1) قد مر في صفحات سابقة أنه وهو الخليفة الذي يحتكم في أموال الناس ومصائرهم، كان يحسد الآخرين على صحة أبدانهم! وحتى قال الناس في المدينة لما جاءهم تشاءموا به وقالوا: عان فقيهنا وعان أهل بلدنا. فراجع.

إحراجه والغض من شأنه، ويكفيك سعيه لإحراج الإمام في قضية رمي السهام، وقوله للشهيد زيد بن علي: ما فعل أخوك البقرة؟ وفشلت محاولاته تلك كما فشل في توهين شأنه بالأسئلة التي وجهها هو أو فقهاؤه، ولم يزدد نجم الباقر إلا سطوعا، فبقيت الفكرة الأخيرة وهي الاغتيال، وليس أسهل من التسميم! وقد سبقه إلى ذلك إخوته سليمان والوليد في حالات مشابهة!

3/ إن مما يشير إلى ما سبق ويؤكده أن أعمار الأئمة المعصومين عليهم السلام، كانت في الغالب في أواسط العمر إلى زمان الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، ولعل كلام الإمام الباقر في تحديد أعمارهم إلى ذلك الوقت ناظر إلى أن ذهابهم عن هذه الدنيا لم يكن بشكل طبيعي، وإلا فلا ميزة في ذكر أنهم قضوا دون الستين! هذا مع أنهم لم يعرف عنهم شكوى من أمراض تنتهي إلى الموت، ولم تكن طريقة حياتهم بحيث تنتهي إلى الموت في هذا السن، ولعله يريد بذلك الكلام أن يشير إلى أنه تم « بتر» أعمارهم، و«قطع حبل حياتهم» فيتكامل مثل هذا الحديث مع أحاديث «ما منا إلا مقتول أو شهيد»، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام «أن أباه محمد الباقر

قال: قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأنا اليوم ابن ثمان وخمسين سنة».[1]

4/ إننا نستبعد أن يكون إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ابن أخ هشام بن عبد الملك) له دور مهم في تسميم الإمام أيام حكومة عمه هشام، لعدم كونه شخصية مهمة في ذلك الوقت، وخصوصًا في المدينة المنورة، بل ما ينقل عنه أيام تصديه للصراع على الخلافة يفيد بأنه شخصية ضعيفة[2] للغاية في السبعين يومًا التي بايعه فيها بعضهم بالخلافة، هذا وهو في مقام الخليفة فكيف إذا لم يكن له منصب رسمي؟

هذا على أن الذي ذكر دوره في تسميم الإمام هو ابن شهراشوب، وقد نسب ذلك لابن بابويه، وكان ذلك في جملة كلام، لا يمكن قبوله فإنه مشتمل على مخالفة للحقائق التاريخية الثابتة، فقد ذكر في المناقب أن الإمام: «كان في سني إمامته ملك

(1) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة 2/ 332.

(2) قال عنه في الصفدي في الوافي بالوفيات 6/ 105: «ولي الْأَمر بعد أَخِيه يزِيد بن عبد الْملك فَبَقيَ فِي الْخلَافَة ثَلَاثَة أشهر وَقيل أقل من ذَلِك وَهُوَ مُضْطَرب الْأَمر وتحكموا فِي أمره وَكَانَ بمعزل عَنهُ وَكَانَ يَقُول: فِي كتاب الله آيَة كَأَنَّمَا نزلت فِي شأني وَهِي قَوْله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: 128]».

الوليد بن يزيد، وسليمان، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام أخوه، والوليد بن يزيد، وإبراهيم اخوه، وفي أول ملك إبراهيم قبض. وقال أبو جعفر بن بابويه: سمه إبراهيم بن الوليد بن يزيد.»[1] وهذا غير صحيح، فإنه على ما اخترناه ـ وهو مختار كثير ـ من أن شهادة الإمام عليه السلام كانت في سنة 114 هـ، وهي في أيام هشام بن عبد الملك التي انتهت سنة 125 هـ، بل على أبعد ما قيل من أنه استشهد سنة 118 هـ، فلم يدرك أيام الوليد ولا يزيد ولا إبراهيم الذي تولى سنة 127 هـ لمدة قصيرة.

وسواء قاله ابن شهراشوب أو ابن بابويه فإن ملاحظة سنة شهادة الإمام عليه السلام لا تتناسب مع ما ذكراه. بالإضافة إلى ما سبق قوله من أن إبراهيم بن الوليد كان لا أثر له بعد خلافته ذات السبعين يومًا فضلًا عن ما قبل خلافته! فينحصر الأمر في ارتكاب هذه الجريمة بهشام بن عبد الملك الذي بقي حاكمًا إلى سنة 125 هـ.

5/ ومثل القول السابق في عدم القبول، القول بأنه قد تم تسميم الإمام في أيام عبد الملك بن مروان بواسطة سرج جُعل فيه السم فلما ركبه الإمام تسرب إلى بدنه، ومات

(1) ابن شهرآشوب المازندراني؛ محمد بن علي: مناقب آل أبي طالب 3/ 340.

على أثره.. وقد روى القطب الراوندي (ت 573 هـ) رواية حاصلها: أن زيدًا بن الحسن السبط المجتبى كان يتآمر على الإمام الباقر لأسباب متعددة (منها الولاية على صدقات أمير المؤمنين عليه السلام) وأنه وشى بالإمام لدى عبد الملك بن مروان (!) ولكن وشايته لم تبلغ محلها بل على العكس فإن عبد الملك بن مروان (!) رد زيدًا إلى المدينة مقيدًا وأرسل للإمام الباقر أن يؤدبه! إلا أن هذا عمد إلى سرج فسمه وطلب من الباقر أن يركبه، فركبه ونزل عنه متورمًا![1]

والرواية التي يفترض أنها عن الإمام الصادق فيها من العلل ما يعسر على العد والحصر:

فمنها أنها مرسلة ولا نعرف أحدًا ذكرها قبل القطب

(1) ونص ما جاء في تلك الرواية أن عبد الملك: «كتب إلى أبي [جعفر] عليه السلام: إني بعثت إليك بابن عمك فأحسن أدبه.
فلما أتي به أطلق عنه وكساه. ثم إن زيدًا ذهب إلى سرج فسمه، ثم أتى به إلى أبي فناشده إلا ركبت هذا السرج.
فقال أبي: ويحك يا زيد، ما أعظم ما تأتي به، وما يجري على يديك، إني لأعرف الشجرة التي نحت منها، ولكن هكذا قدر، فويل لمن أجرى الله على يديه الشر.
فأسرج له، فركب أبي ونزل متورمًا، فأمر بأكفان له [وكان] فيها ثوب أبيض أحرم فيه، وقال: اجعلوه في أكفاني. وعاش ثلاثا، ثم مضى عليه السلام لسبيله، وذلك السرج عند آل محمد معلق.
ثم إن زيد بن الحسن بقي بعده أيامًا، فعرض له داء، فلم يزل يتخبط ويهوي وترك الصلاة حتى مات»!

(ت 573هـ) في الخرائج! وقد ذكر ابن حمزة الطوسي (ت 560 هـ) في كتابه الثاقب في المناقب مقدمة هذه الرواية ولم يصل إلى ذكر قضية تسميم السرج.

ومنها: ما لا يتسق مع الوقائع التاريخية المؤكدة؛ مثل وقوع الحادثة في زمان عبد الملك بن مروان، والحال أنه مات في سنة (86 هـ) أي قبل شهادة الإمام السجاد والد الإمام الباقر بنحو عشر سنوات. كما ذكر في نهايتها أن زيدًا بن الحسن بعد حادثة السرج المسموم.. «بقي بعده أيامًا، فعرض له داء، فلم يزل يتخبط ويهوي وترك الصلاة حتى مات» والحال أن الثابت أنه مات في سنة (120 هـ) عن تسعين سنة، وقيل بل مئة! فأين سنة موت عبد الملك (86 هـ) وسنة شهادة الإمام (114 هـ) وسنة وفاة زيد (120 هـ)؟ وكيف بقي أيامًا بعد شهادة الإمام؟

وقد بحث العلامة الشيخ محمد صنقور الرواية المذكورة بحثاً مستوعبًا وأورد عليها من الملاحظات ما ينتهي إلى عدم قبولها، وانتهى إلى ما انتهى إليه الإمام السيد الخوئي رحمه الله بأن الرواية مفتعلة ومصطنعة!

ومما ذكره في ذلك البحث، وعَدَّه من موهنات الرواية (ملخصًا): «أن الرواية واضحة في أن زيدًا هو المخطط والمدبر

بل المنفذ والمباشر لقتل الإمام عليه السلام، وهي موبقة عظيمة ـ بناء على حدوثها ـ ولا يجوز نسبتها لزيد من دون علم أو بينة سوى رواية موهونة سندًا ومتنًا. ولو كان كذلك لكان يشيع ويذيع في مجالس الهاشميين وعند أهل البيت، وزيد وإن كان فيه ما فيه[1] إلا أنه لم يكن ليرتكب مثل هذه الجريمة، ثم تظل مستورة حتى وإن كان للحسنيين مصلحة مثلًا في إخفائها فإنه قد لا يكون كذلك بالنسبة لباقي الهاشميين! فكيف سُكت عنها ولم نجدها في رواياتهم وأقوالهم؟

إنَّ كلَّ مقتضيات شيوع الخبر متوافرة وموانع الوصول منتفية، فلماذا لم يصل خبرُ القتل بالسرج المسموم إلا من طريق هذه الرواية اليتيمة والمُرسلة، إنَّ ذلك يُوهِن الرواية إلى حدِّ الاطمئنان بعدم مطابقتها للواقع».[2]

ثم إنني قد استمعت إلى قطعة من كلام آية الله السيد المددي حفظه الله، في مناسبة شهادة الإمام الباقر عليه السلام أشار فيه إلى أن هناك

(1) نختلف مع الشيخ الصنقور في تقييمه لزيد بن الحسن، اعتمادًا منه على ما جاء في ارشاد المفيد وغيره. وقد أشرنا إلى إجمال المطلب في زيد في موضع آخر من هذه السلسلة وقلنا إنه ـ وبعض أبنائه ـ يصنف على الخط الموالي للحاكمين: أمويين وعباسيين!

(2) من مقال بعنوان تقييم رواية السرج المسموم على موقع حوزة الهدى للدراسات قرئ بتاريخ: **15/10/1444 https://www.alhodacenter.com/article/2506**

من السموم ما يؤخذ عن طريق الفم، ومنها ما يتسرب من خلال الجلد وهو أقوى وأشد، وذكر أن اسمه «سم الهلاهل» ولعله يقصد أن الإمام قد تم تسميمه بهذه الطريقة.

وكلامه حفظه الله نافع في رفع الاستغراب والاستبعاد الأولي الذي يحصل لمن يسمع عن تسميم الإمام بواسطة ركوبه على السرج! أو ما يسمى بمرحلة انتفاء المانع.. لكن المشكلة كما تقدم هي في أنه لا يوجد ما يمكن الاعتماد عليه للاقتضاء سوى هذه الرواية الوحيدة وقد عرفت حالها.

6/ من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الإمام عليه السلام، رحل من هذه الدنيا بواسطة السم وأن ذلك تم في زمان الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان في سنة 114 هـ، وينبغي أن يكون ذلك بالطريقة المعتادة عندهم في الاغتيال بدس السم في طعام أو شراب، ولا نعلم عن الكيفية تفصيلًا ولا عن المنفذ المباشر، وهو طبيعي فإن عمليات الاغتيال هذه تحاط بأعلى درجات السرية والإخفاء، وإلا فإنها لا تنفع لو تم الكشف عنها قبل العملية، ولها آثار اجتماعية لا ترغب فيها السلطات الحاكمة لو تم الكشف عنها بعد العملية! نعم ربما كشف عنها أهالي الضحايا إن رأوا أن ذلك لا يسبب خطرًا عليهم أو على أتباعهم. وربما تسرب الأمر بعد مدة من الزمان على أثر حصول الأمن

من العقاب، أو غيره من الأسباب؛ وفي هذا نجد أن عدداً من المؤرخين والكتاب قد ذكروا مسمومية الإمام عليه السلام، إما مع نسبتها لإبراهيم بن الوليد تارة، أو لهشام بن عبد الملك أو من دون نسبة.

فقد قال محمد بن جرير الطبري (الشيعي): «وكان سبب وفاته أن إبراهيم بن الوليد سمه»[1] أقول نحن نقبل أصل التسميم، ونتوقف ـ بما تقدم ـ في أن إبراهيم هو الذي قام به.

وقال الشيخ الصدوق (ت 381 هـ): «والباقر محمد بن علي عليهما السلام سمّه إبراهيم بن وليد فقتله».[2] وقد اعتمد عليه ابن شهراشوب فنقل قوله في مناقب آل أبي طالب.

وقال ابن حجر الهيتمي (ت 974 هـ) بعد أن ذكر أحوال الإمام الباقر عليه السلام: «توفّي سنة سبع عشرَة ومئة عَن ثَمَان وَخمسين سنة مسمومًا كأبيه».[3]

وقال الشيخ البهائي العاملي (ت 1031 هـ) ما ترجمته: «إنه عليه السلام قتل بأمر هشام بن عبد الملك وبواسطة إبراهيم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك»[4]

(1) الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الامامة ص 216.
(2) بن بابويه: محمد بن علي الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية ص 98.
(3) الهيتمي؛ ابن حجر: الصواعق المحرقة 2/ 586.
(4) العاملي؛ شيخ بهاء الدين محمد: كليات اشعار وآثار فارسي ص 301.

كيف بقر الإمام العلوم؟

يكاد يجمع الباحثون على أن البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم، وجاءت فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بعيدة عن العلم والمعرفة. وبمجيء النبي برسالة الله خرجت هذه البيئة من حالة الجهل التام (من الظلمات)[1] إلى النور بإذن ربهم، وبعد سعي نبيه وجهاده.

إلا أن ذلك كان بمعنى معرفة الهدايات العامة، وأما معرفة بصائر الدين التفصيلية من عقائد وأحكام ومناهج حياة وسلوك فقد كانت تحتاج بالإضافة إلى ما جاء به المنذر إلى هادٍ، يبين مجملات القرآن ويفصل أصول الدين، وكان هذا الدور يقوم به أئمة الهدى عليهم السلام، وفي طليعتهم سيد الأوصياء علي بن أبي

(1) كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: 257].
وقوله سبحانه: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[إبراهيم:1].

طالب الذي كان بوابة المدينة العلمية النبوية[1]. وقد صرح النبي المصطفى ﷺ بهذا المعنى في أعلميته على من سواه، وفي تقدمه على سائر أصحابه بما لا يكاد يخفى على ذي عينين، إلا أن رياح السياسة لم تجرِ بما تشتهي نفوس المؤمنين، فكان أن أبعد أمير المؤمنين عليه السلام عن موقعٍ كان الأجدر به. وهذا أبعد قسمًا عظيمًا من هداياته ومعارفه عن عامة الناس. وكان يعبّر عن ذلك بقوله «لو ثنيت لي الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينطق كلّ منها ويقول: إنّ عليّا قضى فيّ بما أنزل اللّه تعالى فيّ»[2] كما أن ضعف المستوى العام لعامة الناس من جهة أخرى ساهم في أن يخفى قسم آخر من هذا العلم، وقد أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله «بل اندمجت على مكنون علمٍ لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة».[3] والطوي البعيدة تعني الآبار العميقة، والأرشية جمع رشاء وهو حبل الدلو.

وإذا كان قسم من هذه الهدايات قد اضطر إليها الخلفاء

(1) وربما تكون الآية (وأتوا البيوت من أبوابها) ناظرة أيضًا إلى هذا المعنى ولا تنحصر في ذلك المعنى البسيط وهو أنه ينبغي أن تؤتى المساكن والمنازل من أبوابها وليس من النوافذ مثلًا.

(2) التستري (الشوشتري)؛ الشيخ محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة 1/ 70.

(3) خطب الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة ص 52.

فطلبوها منه، ولم يتوانَ الإمام عليه السلام عن تلبية ذلك حفاظًا منه على شريعة النبي المصطفى، من جهة وعلى نفع المسلمين بأحكام الدين الحقيقية، حتى لقد قال القائل مرارًا «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» ونظائر هذا الكلام.

إلا أن ذلك لم يكن إلا نزْرًا يسيرًا مما كان ينبغي أن تتعرف عليه الأمة.

وأما بعد انقضاء خلافة الأوائل، وثم شهادته عليه السلام، وبدء الدور الأموي فقد تم تعمد إخفاء كل ما يربط الناس بأمير المؤمنين عليه السلام، وإذا كان ذكره بالخير، وتعداد مناقبه موجبًا للعقوبة من قبل الدولة، فكيف إذا تم الإعلان عن منهاجه وعلومه؟

لقد بيّن الحاكم الأموي معاوية بن أبي سفيان منهاج الدولة في حواره الشهير[1] مع عبد الله بن عباس، بحيث منع حتى من تفسيره

(1) الخرسان؛ السيد محمد مهدي: موسوعة عبد الله بن عباس 9/ 339: «قال معاوية: يا بن عباس إنّي قد بعثت إلى الآفاق أن لا يذكر أحد من الناس شيئًا من فضل عليّ بن أبي طالب.
فقال ابن عباس: أتمنعنا من تلاوة كتاب الله؟ فقال معاوية: كلا.
فقال ابن عباس: أتمنعنا من تأويله؟ قال معاوية: نعم.
فقال ابن عباس: يا للعجب أفنقرأ كتاب الله ثم لا نفقه معناه؟ قل لي يا معاوية: هل العمل بكتاب الله أوجب أم تلاوته؟
فقال معاوية: بل العمل به.
قال: كيف نعمل به إذا جهلنا معناه؟
قال معاوية: سل غيرك ممن لا يذهب في تأويله مذهبكم أهل البيت.
فقال ابن عباس: إنّ القرآن في بيتنا نزل، ونحن العالمون به، أفنسأل آل معاوية وآل أبي سفيان عن معناه؟ أتريد بهذا أن تحول بيننا وبين بيان أحكامه للناس من الحلال والحرام؟ =

القرآن بما تعلمه من سيده علي بن أبي طالب ﷺ. فبالإضافة إلى إبعاد الإمام عن قيادة الناس ثم إبعاد منهجه عن هداية الناس، بل وإبعاد شخصيته كرمز إسلامي وبابٍ لمدينة العلم النبوي.

وقد تتابع هذا المشوار[1] لكي يخفى على الناس كل ما يرتبط به حتى أنهم كانوا إذا أرادوا أن ينقلوا حديثًا عن الإمام ﷺ قالوا حدثنا أبو زينب! لإخفاء هذه الجهة. ولم يكن حال أيام الحسنين ﷺ أحسن من حال أيام أمير المؤمنين.

نعم حصل بعض التغير الذي تحدثنا عنه في ترجمتنا لدور الإمام زين العابدين ﷺ وقد أشرنا إليه في ذلك الكتاب وقلنا إنّ الإمام علي بن الحسين السجاد استطاع بتدبيراته المختلفة من إعادة منهج أهل البيت إلى ساحة الأمة بعد أن عملت الحكومات السابقة على نفيه منها،

= قال معاوية: كلا، لا أفعل ذلك سجيس الليالي، بل أقول اعملوا بمعناه واكتموا ما نزل فيكم منه عن الناس».

(1) الهلالي؛ سليم بن قيس ؛ كتاب سليم بن قيس الهلالي ص 188 عن الباقر ﷺ قال: «ثم لم نزل أهل البيت ـ منذ قبض رسول الله ﷺ ـ نُذَل ونُقصَى ونُحرَم ونُقتَل ونُطرَد ونخاف على دمائنا وكل من يحبنا. ووجد الكاذبون لكذبهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاتهم وعمالهم في كل بلدة، يحدثون عدونا عن ولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة، ويروون عنا ما لم نقل تهجينا منهم لنا وكذبا منهم علينا وتقربا إلى ولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب.

وكان عظم ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن ﷺ، فقتلت الشيعة في كل بلدة قطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على التهمة والظنة من ذكر حبنا والانقطاع إلينا، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان ابن زياد، بعد قتل الحسين. ثم جاء الحجاج فقتلهم بكلّ قتلة وبكلّ ظنّة وبكل تهمة حتى أنّ الرجل يقال له زنديق أو مجوسي كان ذلك أحب إليه من أن يشار إليه أنه من شيعة الحسين صلوات الله عليه».

وأصبح هذا المنهج ببركة أعمال الإمام السجاد حاضرًا وبقوة فيها.

والدور الذي قام به الإمام محمد الباقر عليه السلام يبدأ من هذه النقطة، في أيام حياة أبيه عليه السلام يعني (إلى سنة 95هـ) وما بعدها إلى أيام شهادته هو (سنة 114 هـ). فهو من جهة أعاد إلى الواجهة ما كان من فضائل ومناقب وعلوم جده أمير المؤمنين عليه السلام (وسيأتي بحث يرتبط بهذا بعنوان الإمام الباقر وكتاب علي) ومن جهة أخرى صحح ما كان عند الفقهاء آنذاك مما اعتبر من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء الإمام الباقر وصحح ما كان منقولًا عن النبي وأشار إلى الخطأ فيه، وسيأتي الإشارة إلى هذا الجانب أيضًا، وقد رأيت كلامًا للعلامة الكوراني في مقدمة كتابه عن الإمام الباقر عليه السلام منطلقًا فيه من السؤال: «لماذا سماه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقر العلم وهو لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم جزافًا؟» وأجاب عنه ذلك بالقول: «وجدته عليه السلام عمد إلى مصادر العلم المزيف عند الأمة فأسقطهم واحدًا واحدًا وكان يسميهم الأخابث الصادين عن سبيل الله! ويقول عنهم يمصون الثماد ويتركون النهر العظيم: علم رسول الله عند عترته».. ويضيف «فكان عمله شطب ثقافة الخلافة القائمة على الرأي وقصص أهل الكتاب وتقديم ثقافة الإسلام الصحيحة القائمة على العلم النبوي».[1]

باقر العلم، الذي يبقر العلم بقرًا كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

(1) الكوراني؛ الشيخ علي: السيرة الكاملة للإمام محمد الباقر عليه السلام ج1 / 4.

مخبرًا عن أن هذا هو لقبه في التوراة.[1] وهو الذين سيفتح الباب واسعًا أمام علوم آل محمد لمن يريدها. وسنشير لذلك في نقاط:

الأولى: أنه لا بدَّ من التوقف عند هذا اللقب من جهة معناه واختصاصه، فالبقْر هو شق الشيء واستخراج ما في داخله، ومنه قالوا أن الأسد مثلًا بقر بطن الفريسة واستخرج أحشاءها، وأن الثور بقر الأرض بحيث جعل ما في داخلها ظاهرًا خارجًا، وهكذا. ويقتضي ذلك التوسع وكما قال ابن منظور في لسان العرب: «والتبقر: التوسع في العلم والمال. وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر، رضوان الله عليهم، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم. وأصل البقر: الشق والفتح والتوسعة. بقرت الشيء بقرا: فتحته ووسعته».[2]

وقد اختص الإمام محمد بن علي بن الحسين بهذا اللقب بحيث أصبح كالعلَم بالنسبة له، فلا يذكر الباقر ويتبادر غيره إلى السامع. فقد نجد ألقابًا كثيرة يشترك فيها أكثر من واحد ـ بحق وبدون حق ـ ولكننا لا نجد هذا اللقب في غير الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

(1) تشير أحاديث كثيرة، بل ودراسات معاصرة إلى أن أسماء وصفات النبي والأئمة المعصومين وردت في الكتب السماوية.

(2) الافريقي؛ ابن منظور: لسان العرب 4/ 74.

ولا يؤثر إنكار بعضهم[1] أن يكون النبي قد لقبه به، فتلك «شنشنة نعرفها من أخزم»، وذلك أن اشتهار الإمام بهذا اللقب قبل[2] وجود أولئك في الدنيا بقرون والتزام علماء المسلمين بعد وجودهم.

الثانية: يمكن تلمس شيء من توسعه عليه السلام في العلوم وتبقره فيها، من حجم ما نقل عنه بواسطة الرواة، وهنا لا نتمكن من رصد تلك الأحاديث ومضامينها لاحتياج ذلك إلى مجلدات.

---

(1) ابن تيمية الحراني ؛ أحمد: منهاج السنة، قال: «ونقل تسميته بالباقر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعة!

(2) سبق أن ذكرنا أن ما قاله الجاحظ (ت 255هـ) الذي قال عنه «وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخلق بعد، وبشر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته وقال: ستراه طفلًا فإذا رأيته فأبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه وقال له ما وصى به. وذكره صريحا الدينوري (ت 276 هـ) في كتابه عيون الأخبار (1/ 312) في قوله: «دخل زيد بن عليّ على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد: سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقرًا وتسميه بقرة! لقد اختلفتما.

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا جابر، إنك ستعمّر بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كاسمي يبقر العلم بقرًا فإذا لقيته فأقرئه مني السلام»، والاسفراييني (ت 429هـ) واقتصر أبو حامد الاصفهاني (ت 597 هـ)في كتابه البستان الجامع ص138 على القول: «سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقِرًا، وسمَّيته بقرةً، لقد اختلفتما» وقال ابن خلكان (ت 681 هـ): كان الباقر عالمًا سيدًا كبيرًا، وإنمّا قيل له الباقر لأنّه تبقّر في العلم أي توسّع وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبّى على الأجبل

وذكره ابن منظور(ت 711 هـ) في مختصر تاريخ دمشق 23/ 78؛ فقال في حديث طويل لجابر عن رسول الله حول الإمام السجاد «ويولد له محمد إذا رأيته يا جابر فاقرأ عليه مني، زاد في حديث آخر عنه واعلم أن المهدي من ولده». وأكثر الذين تحدثوا عن لقاء زيد بن علي بن الحسين مع هشام بن عبد الملك في الشام، وسؤال هشام عن أخي زيد، الإمام الباقر عليه السلام، بعنوان ما فعل أخوك البقرة؟ فقال سماه النبي الباقر وتسميه البقرة لشد ما اختلفتما!.. عند نقلهم هذا الحوار يعني أنهم يلتزمون ضمنا بتسمية الرسول إياه.

ونقل الشهيد زيد تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الباقر بهذا اللقب بشكل جازم، يفند ما زعمه بعضهم من ضعف حديث جابر كما زعمه في منهاج السنة.

لكننا نشير هنا إلى أن ما وصل إلينا هو القسم اليسير[1]من الحجم العلمي الذي بثه الإمام الباقر في الأمة، وذلك أن هناك فاصلة كبيرة بين الأحاديث التي قيلت والأخرى التي وصلت، أو كما يعبر عنها بـ (السنة في وجودها الحقيقي) و (السنة في وجودها الفعلي بين أيدينا)، نقول القسم اليسير لأن الكثير منها لم يدون أو يحفظ لأسباب مختلفة، ومنها ما دوّن لكنه تلف أو أتلف.

1/ **بالنظر إلى عدد الرواة الذين نقلوا عنه العلم** ورووا عنه، سيتبين لنا سعة الدائرة التي نشر فيها الإمام الباقر العلم، فقد تتبع الشيخ العطاردي أسماء الرواة عنه فأحصى ستمائة واثنين وخمسين (652) راويًا.. وذكر الشيخ القرشي أن عددهم هو أربعمائة واثنان وثمانون شخصا (482).[2]

ولنا أن نتصور كم سيكون العدد إذا علمنا أن بعض هؤلاء كما نُقل رووا عنه آلاف الأحاديث[3]..

وأما الذين رووا عنه من غير أتباع مدرسة أهل البيت، فقد

(1) إنه توجد بعض الروايات تفيد بأن زرارة والطائفي قد رويا عنه نحو ثلاثين ألف، بينما الذي نجده في كتب الأحاديث يقل عن هذا بكثير. وأحد أسباب هذا الاختلاف هو ما ذكرناه في المتن.

(2) القرشي؛ الشيخ باقر شريف: حياة الامام الباقر 2/ 382.

(3) ذكروا أنه روى عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث، وروى عنه محمد بن مسلم ثلاثين ألف حديث وسيأتي كلام في هذه الناحية.

ذكروا أنه روى عنه محمد بن شهاب الزهري وعمرو بن دينار وأبو إسحاق الهمداني، ووهب بن منبه، وواصل، وهاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهشام بن عروة بن الزبير، وأسلم، وإبراهيم بن أدهم واسحاق بن راشد واسحاق بن يسار، وإياس بن سلمة بن الأكوع، والحكم بن عتيبة، والنعمان بن ثابت أبو حنيفة وحبيب بن قيس بن دينار، وداود بن دينار بن عذافر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي، وسفيان بن عيينة وشريك بن عبد الله بن أبي نمر، ومحمد بن إسحاق، ومنصور بن المعتمر، والأوزاعي، وأبو إسحاق السبيعي، وليث بن أبي سليم وحجاج بن أرطاة والأعمش، ومخول بن راشد، والقاسم بن الفضل الحداني وحرب بن سريج، ومحمد بن المنكدر.. وغيرهم

2/ **تنوع المواضيع وكثرة الرواية عنه عليه السلام**: فيما كان الاتجاه الرسمي في مدرسة الخلفاء هو المنع من النقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورفض تدوين أحاديثه، واستمر هذا إلى حوالي نهاية القرن الأول الهجري عندما جاء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ) فرفع هذا المنع. كان الاتجاه الأساس لدى مدرسة أهل البيت هو الحث على نقل الحديث للناس وتدوينه. ولذلك لا نستغرب بعد هذا أن يكون عدد

روايات الإمام الباقر عليه السلام في الكتب التسعة في مدرسة الخلفاء 244 رواية! وأنه يعتبر «قليل الرواية» كما يقول الذهبي وليت شعري بعد هذا كيف يوفقون بين ما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أنه يبقر العلم بقرًا وبين هذا العدد الضئيل، أو بين كونه قليل الرواية؟ بل حتى لو فرضنا كما صنع بعضهم عدم تصحيح تلقيب النبي إياه بذلك اللقب فلا ريب أنه كان مشهورًا به معروفًا عنه لا يعرف به سواه.. أفلم يسأل أحدهم نفسه: كيف يبقر العلم ويشقه ويتوسع فيه مع كونه قليل الرواية ولا يوجد لديه سوى ذلك العدد المحدود؟

وكيف يتفق هذا مع قوله[1] إن الإمام الباقر عليه السلام «لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجه أبي الزناد وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب»؟

لقد أورد الباحث أحمد القاضي الكلبايكاني في كتابه «أسئلة الناس وأجوبة الإمام الباقر عليه السلام»[2] نحو مائة وسبعة وثمانين سؤالاً (187) سألها الإمامَ الباقرَ عليه السلام علماء ورواة وعامة مسلمون، وقد توزعت على مواضيع كثيرة كما في الكتاب:

(1) الذهبي ؛ شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء 4/ 402 ولنا الكثير من الملاحظات على ترجمته للإمام الباقر عليه السلام والتي نراها ناقصة ومنحازة بل ومضللة.

(2) باللغة الفارسية: برسشهاي مردم وباسخهاي إمام باقر عليه السلام.

فمنها أسئلة: حول وجود الله ووحدانيته وأسمائه وصفاته، ومنها أسئلة حول خلقة الانسان وبداية التاريخ البشري، وحول الدين وأنبياء الله سبحانه والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما هو حول الإمامة ولزومها واضطرار الناس إلى الإمام، والسؤال عن فضائل المعصومين عليهم السلام، ومنها ما هو حول بعض كراماته وعلومه ومعارفه التي تميز بها، ومنها ما يرتبط بالإمام المهدي في ولادته، وأيام غيبته وظروفها، وعلائم الظهور، وكذلك سيرته حين ينتصر لدين الله.

وكان من تلك الأسئلة ما يرتبط بقضايا الموت والبرزخ والمعاد في يوم القيامة وما يحصل فيه من مشاهد وحساب وغير ذلك. ومنها ما يرتبط بتفسير وتأويل آيات القرآن الكريم وعلومه المختلفة، ومنها ما يرتبط بالصفات الأخلاقية من فضائل ورذائل، وقضايا الإيمان والكفر والشرك ودرجات كل منها.

وكذلك ما يتصل بقضايا الصحة والطب وسلامة الأبدان، وهكذا أمور الطبيعة وقضايا التاريخ.

نحن نلاحظ أن هذه المواضيع إنما جاءت في صورة أسئلة توجه بها سائلوها للإمام، وليس هو كل ما قاله أو نشره الإمام عليه السلام، وتشير هذه الأسئلة إلى اعتقاد الناس (من مؤمنين بالإمام ومخالفين له) فيه أنه محل الإجابة عن تلك الأسئلة، وإلا

فإن العادة ألّا يتوجه شخص إلى طبيب بسؤاله عن الفقه، ولا إلى فقيه بسؤاله عن الهندسة وهكذا. فما دام هؤلاء قد توجهوا إلى الإمام بالسؤال في مختلف الميادين فإنهم كانوا يعتقدون بأنه هو الحريُّ بالإجابة الصحيحة فيها.

والأسئلة في العادة تشكل القسم الأقل من علم الشخص الذي يظهر للناس، وهذا واضح فلو لاحظنا أحدًا يلقي محاضرة من ساعة كاملة وفيها عشرات الأفكار ومئات المعلومات، فإن السؤال المتعقب لها عادة لا يتعدى الواحد أو الاثنين!

ولهذا لو نظرنا إلى القسم الآخر سنجد شيئًا عظيمًا من المواضيع والقضايا التي ذكرها الإمام ﷺ في جلساته مع الناس ومع خاصة أصحابه، وفي خطابه لهم، ودروسه معهم، ولذلك لو فتحنا كتاب مسند الإمام الباقر ﷺ للعطاردي، وتتبعنا العناوين التي جعلها على بداية كل فصل مع احتواء ذلك الفصل على أحاديث كثيرة وفي بعض الأحيان مفصلة، سنجد تلك العناوين كثيرة ومتنوعة.

ففي هذا الكتاب الذي جاء في أجزاء ستة وبمجموع أحاديث بلغت ثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وستين (8564) جاءت العناوين هكذا:

في الجزء الأول من المسند:

أولًا: كتاب العقل: وفيه باب خلق العقل، واختلاف العقول، وكمال العقل، وأن المؤمن يكون عاقلا.

ثانيًا: كتاب العلم، وفيه باب فضل العلم والعلماء ورواية الحديث، والأخذ بالكتاب والسنة، وثواب التعليم والتعلّم، والتفقه والأخذ عن الصادق، وأن الأرض لا تخلو من العالم وباب من أفتى بغير علم، وباب ذم القياس والرأي والبدع، وباب الوقوف عند الشبهات واستعمال العلم وباب علماء السوء ودرجات العلم.

ثالثًا: كتاب التوحيد، وفيه باب ابتداء الخلق وباب التفويض إلى اللّه والنهي عن الجدال في اللّه وباب الخير والشرّ وباب العلم والبداء وباب القضاء والقدر، ومعنى عروة اللّه، ومعنى الصمد، وباب الشرك والنهي عن التوصيف، وباب النهي عن القول بالجسم والصور، وباب أنّه شيء لا كالأشياء ونفي الزمان والمكان (عن الله) وباب جوامع التوحيد.

رابعًا: كتاب الأنبياء، وفيه باب ما روي في الأنبياء عليهم السلام، ثم ما روي في الأنبياء واحدًا واحدًا ؛ وفي أقوامهم وأتباعهم الصالحين؛ في آدم وبتبعه حوّا عليهما السلام ونوح وإبراهيم وإدريس وموسى ويعقوب

ويوسف وداود وشعيب وسليمان وصالح وأيّوب ولوط ويونس وما روي في الخضر وذي القرنين ولقمان وما روي في قوم ثمود وما روي في حزقيل وأصحاب الأخدود وأصحاب الكهف، وما روي في عمران وزكريّا ويحيى وعيسى. وآخر ذلك في ما روي في خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

خامسًا: كتاب الإمامة: وفيه باب فرض طاعتهم، وباب حق الإمام وعلامات الإمام، وأن الأرض لا تخلو من إمام وأنّ الأئمّة ولاة الأمور، وباب من جحدهم عليهم السلام، وكذلك باب أئمّة الجور.

وفيه أيضًا باب أنّهم حكموا بما انزل اللّه وأن الحق عندهم وأنهم حجج اللّه وأركانه، وباب الردّ إلى الإمام والنصيحة له، وباب أنّ الأئمّة هم الهداة، وأن حبهم إيمان وأنهم نور اللّه وأنهم أهل الذكر والمتوسّمون، وأنهم اثنا عشر.

وفيه باب من مات وليس له إمام، ومن دان بغير إمام منصوص، ومن ادّعى الإمامة، وصفات الإمام عليه السلام وأنهم يعرفون المؤمن والمنافق، وأنهم نجوم السماء والأمانات. ثم باب النصوص على الائمّة، وباب علم الإمام، وأنه جمع القرآن، وأنهم شجرة النبوّة وعندهم حلّ المعضلات، وأن عندهم الجفر والجامعة والاسم الأعظم وأنّهم ورثوا علم الأنبياء.. وعشرات العناوين المرتبطة بالإمام والإمامة.

خامسًا كتاب الغَيبة: وفيه باب إخفاء ولادة المهدي عليه السلام وعلة غيبته وما يكون بعد الغيبة، وعدم جواز التوقيت والتسمية، وباب ما يحدث قبل الظهور، وما يكون عنده من آثار الأنبياء، وأنّه يحكم بين الأديان، وباب انتظار الفرج، وما يقول عند قيامه وأنه يخرج يوم عاشوراء وأنه ينشر راية الرسول.

وفيه أيضًا باب أصحاب المهدي وأنّ غيبته من المحتوم، وباب صفاته وسيرته، وأنّه يملأ الأرض قسطًا وعدلًا. وكذلك باب خروج السفياني، وأنه يدعو إلى أمر جديد، وأنه يزيل البدع، ثم خصائصه عليه السلام.

وأما أحاديث الجزء الثاني من المسند فقد احتوى:

أولًا: كتاب فضائل أهل البيت عليهم السلام، وفيه باب ثواب من وصلهم، وباب ما روي عنه في علي وفاطمة عليهما السلام، وما روى عنه في الحسنين وما روي عنه في الحسن بن علي خاصة، وفي الحسين بن علي خاصة، وفي علي بن الحسين وفي جعفر الصادق عليهما السلام.

وفيه أيضًا ما روي عنه في بني هاشم وفي أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفي أهل البيت، وفي زيد بن علي.

ثانيًا: كتاب الأصحاب: وفيه باب ما روي عنه عليه السلام في سلمان

المحمدي، وأبي ذر، وابن عباس، وجابر بن عبد اللّه، ومحمّد بن أبي بكر، والمقداد وعمار، وسعد بن معاذ (وثمامة وقس بن ساعدة) وما روي في قنبر وأويس وفي سفيان بن ليلى.

وفيه كذلك ما روى عنه في سعد بن عبد الملك، وأبي خالد الكابلي، وزرارة ومحمّد بن مسلم وأبي بصير وحمران وجابر بن يزيد وعلباء الأسدي وعقبة بن بشير وأسلم المكي والكميت الأسدي. والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وعكرمة.

كما احتوى على ما روي عنه في فضيل بن يسار وسعد الإسكاف وعبد اللّه بن شريك وعبد اللّه بن ثوير.

وباب ما روي عنه في المهاجرين والأنصار، وأسامة بن زيد، ويحيى بن أمّ الطويل، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، والمغيرة بن سعيد وأبي الجارود، وسالم بن أبي حفصة وعمر بن رباح وأم خالد وكثير النواء وميسر وعبد اللّه بن عجلان.

وكذلك ما روي عنه في حمزة بن عمارة وعبد اللّه بن بكر وحمزة بن الطيار وقيس بن عبد اللّه وكثيّر الشاعر ومولى لعثمان.

أقول: من خلال التتبع في هذه الأسماء سنجد أن الإمام الباقر عليه السلام قد أعطى تعريفًا ـ في الغالب ـ لكل اسم ورد في هذه

الأحاديث وبالتالي حدد الموقف منه، ونحن نلاحظ أنه عليه السلام قد تحدث عن أصفياء أصحاب النبي والوصي عليهما السلام، كما تحدث عن أصفياء أصحاب أبيه وأصحابه لكي يتولى المؤمن هؤلاء.

وأيضًا فإنه ذكر أسماء لمنحرفين عن المنهج الحق، سواء كان أولئك من الغلاة والكذبة على الأئمة عليهم السلام، أو كانوا من الفقهاء الذين تركوا عذب ماء أهل البيت وهو قريب لمن أراد وورد، ونهلوا من عيون آجنة، ومستنقعات آسنة، مثل بنان (عبد الله بن محمد)، وحمزة بن عمارة البربري، وأبو الجارود، وكثير النواء، والمغيرة بن سعيد، وعمر بن رباح وسالم بن أبي حفصة، الحكم وسلمة وعكرمة.

يبقى أن نشير لملاحظة وهي أن المؤلف رحمه الله قد أورد أسماء لبعض أصحاب الإمام أبي جعفر الثاني (الإمام الجواد) عليه السلام على أنهم من أصحاب أبي جعفر الباقر، وذلك اشتباه منه، والعصمة لأهلها فقد أورد أحاديث عن عبد الله بن الصلت أبي طالب، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، والحال أنهما من معاصري الإمام الجواد عليه السلام.

ثالثًا: كتاب فضائل الشيعة: وفيه باب أخذ الميثاق من الشيعة، وامتحانهم وخصائصهم وخصالهم ومصائبهم والإحسان إليهم

وأنهم الفائزون، وأنهم خير البرية، وأقرب الخلق إلى اللّه، ومقامهم في المحشر.

رابعًا: كتاب الإيمان والكفر: وفيه باب الإسلام والإيمان، وباب المؤمن وصفاته، وباب الزهد والتوبة والتواضع والشكر، وباب الأمانة والبر بالوالدين وباب الجود والسخاء، وقضاء حوائج المؤمن وباب المعروف والحب في اللّه، والتقية والكتمان وباب الورع والاجتهاد والرفق.

كما فيه باب النصيحة للمؤمن، وأن المؤمن أخ المؤمن وباب كسوة المؤمن وحقه، وباب القناعة، والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم والكفاف والتعجيل في أعمال الخير وطلاقة الوجه وباب الاتباع للسنة في العبادة، والاستمرار والدوام فيها، وباب الصبر وحسن الخلق والحلم الإخلاص والرضا والعفّة وحسن الظن والتقوى والإحسان والإنصاف.

وفيه أيضًا باب استغناء المؤمن، وتأليف القلوب وباب إدخال السرور وأبواب مصافحة المؤمن وزيارته وإحيائه ومعانقته وأنه يدفع به البلاء ويعطى الدين وأنه مغفور له.

وكذلك أبواب الأناة، والبلايا والفتن والسعادة والشقاء. وأبواب الاعتبار، والذنوب الكبائر، وباب الذنوب الصغار، ثم ما

روي عنه في من يعيب الناس وسب المؤمن وتحقيره، والإغراء بين المؤمنين وأبواب الشك والكفر والضلال والظلم والنفاق والعقوق واتباع الهوى والكذب وحب الدنيا والطمع والخُرق والحسد والرياء والغضب.

خامسًا: كتاب الآداب والمعاشرة: وفيه ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية، ومنها إفشاء السلام وباب حق الجار وباب الضحك وحسن الصحبة، والتودد، والتسليم على غير المسلم وزيارة الإخوان والمشورة.

سادسًا: كتاب المواعظ: وفيه مواعظ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ومواعظه أي الإمام الباقر عليه السلام، ومواعظه لسعد الخير باب مواعظ أبي ذر رضوان اللّه عليه ومواعظ النبي سليمان عليه السلام.

سابعًا: كتاب تفسير القرآن: وفيه باب جمع القرآن وفضله وأنه كلام اللّه وأن للقرآن ظهرًا وبطنًا وباب العمل بما وافق كتاب اللّه وباب التفسير بالرأي والجدل في القرآن وباب أدب القراء وثواب قراءة القرآن وباب شفاعة القرآن وترجيع القرآن.

وتبدأ بعد ذلك أبواب التفسير فمنه تفسير آيات من سورة البقرة، ثم آيات من سورة آل عمران وآيات من سورة النساء.

وقد اشتمل هذا الجزء بكتبه السبعة، وصفحاته الخمسمائة والخمسين على نحو (1616) حديثًا ورواية ما بين الطويل منها الذي يحتل صفحات وبين القصير الذي قد لا يزيد على سطر واحد.

وأما الجزء الثالث من المسند، فسيشتمل على تتمة ما جاء عنه عليه السلام، وما روي في تفسيره لآيات القرآن الكريم موزّعًا على السور المباركة من بدايته إلى ص 362.

وثانيًا على كتاب الدعاء: ويشتمل على فضل الدعاء، وباب الاستغفار وثواب لا إله إلّا اللّه وفضل لا حول ولا قوّة الّا باللّه، وباب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وباب أدعية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وباب دعاء آدم عليه السلام، وباب أدعية الإمام الباقر عليه السلام وحجابه وقنوته وعوذته، وباب تسبيح الزهراء عليها السلام، وأبواب تعقيبات الصلوات، ثم فضل الجمعة، وجوامع الأدعية.

ومن أبواب الأدعية ما يرتبط بأوقات اليوم كالدعاء عند الصباح والمساء وفي الليل والسّحَر، وفي يوم الجمعة، وشهر رجب وفي أول كل شهر، وعند الإفطار، ودعاء العهد ومنها ما يرتبط بحالات أو حوادث مثل الدعاء عند السفر وعند خوف السبع والهوام، وعند رؤية الكفّار ولطلب الرزق ودفع الكرب والمرض، ودعاء

الحاجة والدعاء للمؤمنين وفي وقت المباهلة، وعند رؤية الهلال، وعند الإفطار.

وثالثًا: كتاب الاحتجاجات: وفيه ما نقل عنه في احتجاجه عليه السلام مع نصراني، واحتجاجه عليه عليه السلام مع الخوارج واحتجاجه عليه السلام مع سالم مولى هشام، واحتجاجه عليه السلام مع نافع مولى ابن عمر واحتجاجه عليه السلام مع الحسن البصري واحتجاجه مع طاووس اليماني.

ورابعًا: كتاب الطهارة ومن هنا تبدأ الأحكام الفقهية التفصيلية؛ فمنها أحكام المياه وأن الماء يطهر كلّ شيء، وما يرتبط بالاستنجاء والتخلّي، وأحكام السواك، وفي انّه لا صلاة إلا بطهور وباب أحكام الوضوء وفيه باب وضوء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (وهو باب مهم جدًا فإن التغيير الذي حصل في وضوء المسلمين كان على أثر نقل بعض الأصحاب صورة غير صحيحة عن وضوء رسول الله وقد أشاعتها مؤسسة الخلافة الرسمية فما مرَّ زمان إلا وصارت هذه الصورة غير الصحيحة هي الصورة المنتشرة بين المسلمين، وقد أشرنا في بعض الأسطر الماضية لها).

وفي هذا الباب نجد أيضًا أحكام الجنابة والحيض والنفاس، وباب التيمّم، وباب الأغسال.

والجزء الرابع من مسند الإمام الباقر عليه السلام

يشتمل على كتب متعددة؛ فمنها:

أولًا: كتاب الصلاة: وفيه باب فضل المساجد وأحكامها، وباب فرض الصلاة وفضلها وباب الأذان والإقامة ومكان المصلّي ولباسه وباب مواقيت الصلاة والقبلة، وباب التكبير في الصلاة، وباب القراءة في الصلاة والجهر والإخفات، وباب الركوع والسجود والقنوت والتشهّد.

كما فيه باب صلاة الجمعة والجماعة والعيدين والاستسقاء وصلاة التطوع وصلاة الصبيان والصلاة في السفينة وباب صلاة اللّيل وصلاة الخوف وباب صلاة الخسوف والكسوف، وباب صلاة المريض والشيخ وباب صلاة المسافر، وصلاة جعفر الطيّار وباب الشك والسهو، وصلاة القضاء والصلاة خلف المخالف ومن تكره الصلاة خلفه وكذلك باب الخشوع في الصلاة وتعقيباتها، والانصراف عن الصلاة وما يفسد الصلاة.

وثانيًا: كتاب الصوم وفيه باب فضائل شهر رمضان، وفرض الصيام ورؤية الهلال، ويوم الشك، وباب صوم الحامل والمرضع والشيخ الكبير، وصوم التطوع وقضاء الصوم وصوم المسافر والحائض، وصوم الكفارات، وصوم الصبيّ وباب ما ينقض

الصوم، والصائم يجامع أهله ويقبل، ويتقيأ أو يقلس. وباب من أفطر شهر رمضان.

وفيه أيضًا ما يرتبط بزكاة الفطرة وعيد الفطر.

وثالثًا: كتاب المعيشة باب طلب الرزق؛ وفيه باب إحراز القوت وطلب الحلال، وما يتصل به من آداب التجارة، والتحذير من الكسل والضجر، وفي تفاصيل طلب الرزق يأتي باب بيع المعيوب وباب الزرع والضرع، وباب الإجارة وإحياء الموات وباب القمار والنهبة والسحت، وأحكام مال الوالد والولد، وباب بيع الثمار، وباب السلف والسلم، وبيع الوديعة والعارية وباب الدَّين والرهن، وباب شراء أرض الخرائج.

وفيه أيضًا باب الخيار والشرط، وبيع المرابحة، باب بيع الدين بالدين، وباب عمل السلطان وجوائزه، وباب شراء العقارات وبيع السلاح وباب الصناعات، وباب عمل النائحة وكسب المغنية والماشطة، والغش في البيع، وباب الضمان، وباب الاحتكار والربا، وباب الصرف وبيع الدينار والدراهم، وأحكام الأرضين والمضاربة والمزارعة.

رابعًا: كتاب الزكاة، وفيه باب فرض الزكاة، وباب فضل الصدقة والانفاق، وباب مانعي الزكاة، وباب وقت أداء الزكاة

وزكاة الأنعام، والغلات وزكاة الذهب والفضّة وزكاة الفطرة، وباب تأخير الزكاة، ومن تحلّ له الزكاة، وأن الصدقة لا تحلّ لبني هاشم، وباب حمل الزكاة وباب ما لا تجب فيه الزكاة.

ثم باب الأنفال والخمس.

خامسًا: كتاب السفر: وهو بمثابة المقدمة لكتاب الحج والزيارة ؛ **وفيه** باب آداب السفر وتوديع المسافر وكراهية الوحدة في السفر وإعانة المسافر وتهنئة القادم.

سادسًا: كتاب الحج: وفيه باب فضل الحج وفرضه، وباب حجّ آدم ﷺ وباب حجّ الأنبياء ﷺ من نوح وإسماعيل وموسى وسليمان، وباب الحرم وحدوده، والإتمام والتقصير في الحرمين، ووقت الحج، وباب دخول الكعبة، وباب المواقيت، وباب التلبية والإحرام والطواف واستلام الحجر والسعي والوقوف بعرفات والمشعر الحرام وباب النحر والأضاحي ورمي الجمار وأيام التشريق وباب النفر من منى. والحلق والتقصير.

وفيه ما يرتبط بتروك الإحرام ولباس المحرم حكم الطيب والتظليل والرفث والفسوق والجدال، وما يوجب الكفارة، وحج الحائض والنفساء، وباب النيابة عن الحج، وباب الإحلال وأحكام العمرة.

وفيه أيضًا باب حج المفرد والقارن، وحج القاطن وطواف الزيارة.

سابعًا: كتاب الزيارة: وفيه باب زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة الزهراء والأئمة عليها وعليهم السلام، وتعيين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وما جاء في فضل زيارة الإمام الحسين والإمام الرضا عليهما السلام، وباب فضل الكوفة ومسجدها، وما روي عنه في باب زيارة المؤمن.

ثامنًا: كتاب الجهاد: وفيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب نصرة المؤمن ودفع اللص والمحارب وباب من قتل دون أهله، وباب اظهار الحق، وباب فضل الجهاد، باب الشهادة، باب قتال المشركين وأهل البغي، وباب السيوف.

تاسعًا: كتاب النكاح: وفيه أن المؤمن كفو المؤمنة، وباب خير النساء، وباب المهر، والزوجة الصالحة، وباب الشروط عند النكاح وحقوق الزوجين، وباب أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وباب النكاح الفضولي، ونكاح الذمية، وباب المتعة، باب الجمع بين الأختين ونكاح الناصبية والمخالف، باب النكاح لذات الدين والولود، باب بدء النسل، باب اللواط.

أما الجزء الخامس من المسند، فهو يشتمل على الكتب التالية:

أولًا: كتاب الطلاق: وفيه باب كراهية الطلاق وباب الطلاق على السنة وطلاق المكره وطلاق المريض ومن طلق امرأته ثمّ مات، وباب الخيار في الطلاق، والمطلّقات ثلاثًا، وطلاق المسترابة، وباب القول عند الطلاق، والاشهاد عند الطلاق، والطلاق قبل الدخول، وطلاق الغائب، وباب طلاق اليائس والحامل، وباب اللّاتي يطلقن على كلّ حال. وباب المطلقة أين تعتدّ، ووقت انقضاء العدّة. وباب أولاد المطلّقات، ولحوق الأولاد بالآباء وباب الرجوع.

وفيه كذلك باب اللعان، والإيلاء، والمباراة والخلع، وباب الظهار والرجل يحرِّم عليه امرأته.

وثانيًا كتاب الأولاد: وفيه باب بدء الخلق، وباب الأسماء والكنى، والدعاء في طلب الأولاد، وباب المرضعة والعقيقة وما يقال عند العقيقة، وباب الاختتان، وباب غاية الحمل، والتحنيك.

ثالثًا: كتاب التجمل والزينة: وفيه ما روي عنه في اتخاذ المسكن، والخواتيم ونقوشها، وأخذ الشعر وتقليم الأظفار، وباب العمائم واللباس، وباب الطيب، وباب الخضاب والسواد واللحية والشارب، وباب الحمام والتمشط والكحل.

وفيه أيضًا أبواب لباس المعصفر والخزّ والحرير والديباج واسبال الإزار والقميص. وباب تنظيف البيوت، وباب الحجامة.

رابعًا: كتاب الدواب؛

خامسًا: كتاب الأطعمة؛

سادسًا: كتاب الأشربة؛

سابعًا: كتاب الصيد والذباحة؛

ثامنًا: كتاب القضاء والشهادات؛

تاسعًا: كتاب الحدود؛

عاشرًا: كتاب الوصية؛

أحد عشر: كتاب المواريث؛

اثنا عشر: كتاب الجنائز؛

ثلاثة عشر: كتاب الحكم والنوادر.

وأما الجزء الأخير؛ السادس، فقد جاء في ثلاثة عناوين رئيسة:

ما روي عنه عليه السلام من طريق الزيدية

ما روي عنه من طريق الإسماعيلية

ما روي عنه من طريق أهل السُّنَّة.

وجاءت هذه الأحاديث في مختلف الأبواب والمواضيع التي مرَّ ذكرها، لكن من غير طريق الشيعة الإمامية، وبلغ عددها 14

حديثًا عن طرق الزيدية و394 حديثًا عن طرق الإسماعيلية و702 حديثًا من طرق أهل السُّنّة ومجموعها الكلي 1110 أحاديث، وربما يتداخل بعضها ويتكرر لكن الغالب ليس كذلك.

ونلاحظ أن العدد الكلي في كتاب مسند الإمام الباقر عليه السلام للعطاردي، وهو ثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وستون (8564) حديثًا، يشكّل قسمًا مما استطاع المؤلف تتبعه في المصادر، وقد يكون فاته عدد ليس بالقليل مع بذله الجهد الكبير، ولو فرضنا أنه تتبع كل الروايات المدونة فإنها ليس سوى جزء من رواياته، وهو الجزء الواصل إلينا، مع ملاحظة أن ما تلف (أو أُتْلف) من تراث الأئمة كثير جدًّا، وأن ما لم يُسجَّل ويكتَب هو بدوره ليس قليلًا.

- عند مقارنته بما أثر عن أي عالم أو فقيه من أي مدرسة كان، ويعيش تلك الفترة الزمنية سيكون من الواضح أن هذه الأحاديث لها التقدم من حيث العدد، فإن أوسع كتاب قد ألف قرب تلك الفترة، هو موطأ مالك بن أنس (ت 179هـ) والرواية المشهورة عنه وهي رواية يحيى بن يحيى الليثي وهي الرواية الأشهر قد وصل الرقم فيها إلى (2861)حديثًا بما في ذلك الروايات المسندة للنبي، والآثار والبلاغات، وأقوال مالك نفسه. ونقل عن ابن حزم قوله: أحصيت ما في

موطأ مالك فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفًا، وفيه ثلاثمائة ونيّف مرسلًا، وفيه نيف وسبعون حديثًا قد ترك مالك نفسه العمل بها، وفيه أحاديث ضعيفة وهّاها جمهور العلماء.[1]

بل حتى مع مقارنته مع صحيح البخاري (ت 256 هـ) ننتهي إلى نفس النتيجة، فإن عدد أحاديثه مع المكررات يصل إلى 7275 حديثًا (وقال بعضهم 7500) وأما مع حذف المكررات فيرجع إلى 2600 حديثًا بنحو الثلث تقريبًا، وقيل إلى 4000 حديث.

هذا مع أن الفاصلة الزمنية بين كل من شهادة الإمام الباقر (سنة 114 هـ) وبين تلك الكتب تتراوح بين سبعين سنة ومائة وأربعين سنة تقريبًا.

3/ تصحيحه لما عند المسلمين من أخطاء:

كانت المشكلة التي عاصرها الإمام الباقر عليه السلام في الساحة الدينية والثقافية الإسلامية، متعددة الأضلاع فمن جهة؛ كان قد تم المنع والحجر على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقرار رسمي، من السنة الحادية عشرة إلى أيام عمر بن عبد العزيز أي حوالي 88

(1) نقله عنه غير واحد؛ منهم القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ص58.

سنة. وبعد أن أُذن بالتدوين والنشر للحديث كان اختلط فيه الغث والسمين، وما قاله رسول الله بما قاله الأحبار والرهبان وما وضعه المرتزقة والكاذبون، فتعاظمت المشكلة فلا المسلمون قادرون على العودة إلى ما كانوا عليه من الامتناع عن تدوين الحديث ونشره وهم الذين رأوا المشاكل التي حصلت على أثر ذلك، ولا هم قادرون على معرفة الحديث الصحيح في هذا الاختلاط المزعج. وزاد الطين بِلةً دخول الثقافات الأجنبية والأسئلة الحائرة على أثر (الفتوحات الإسلامية) التي انتشرت شرقًا وغربًا وكان بعضها مصداقًا لـ«ترك الذنب خير من الاستغفار»!

فقام الإمام الباقر في جملة أعماله بتصحيح ما كان شائعًا في مختلف الأقطار الإسلامية (الحجاز والعراق والشام فضلًا عن البلاد المفتوحة جديدًا) من الأخطاء العقائدية، والأحكام الشرعية، وما كان منسوبًا إلى سنَّة رسول الله ﷺ، ومن أولى منه بذلك؟ ونورد أمثلة على ذلك:

1/ **ففي باب معرفة** الله: يروي عنه عليه السلام محمّد بن مسلم، أنّه قال: من صفة القديم أنّه واحدٌ، أحدٌ، صمدٌ، أحديّ المعنى، وليس بمعان كثيرة مختلفة فقلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر، ويبصر بغير الّذي يسمع،

قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا: تعالى اللّه عن ذلك، انّه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع. قلت: يزعمون أنّه بصير على ما يعقلونه. قال: فقال تعالى اللّه، إنمّا يعقل ما كان بصفة المخلوقين وليس الله كذلك.[1]

ومن الواضح أن الفكرة الأولى الخاطئة تنتهي إلى تركيب الذات الإلهية، وأن له سمعًا يسمع به، وهو غير البصر الذي يبصر به، وهذه هي حالة المخلوقات حيث لها أجهزة متعددة؛ كل جهاز يقوم بغير ما يقوم به الجهاز الآخر. وهكذا وصلوا إلى التشبيه بحيث كما يتصورون في المخلوقات أنها تبصر بالعين وكيفية العين معروفة، فكذلك في رأيهم هو الله، فكذبهم الإمام وأبان خطأ ما ذهبوا إليه. ولا شك أن مثل هذه الأفكار هي من ضمن التسرب أو التسريب اليهودي للساحة الإسلامية.

- وفي نفس الباب وجدنا أن بعض أئمة الفقه لدى مدرسة الخلفاء وهو اتجاه عام لدى أهل الحديث فيهم، وهو الالتزام بحلول الأعراض على الباري سبحانه وتعالى من الضحك والغضب، وذلك لأنهم نظروا إلى بعض الأحاديث التي لا تثبت عن النبي تارة أو فسروها وفسروا الآيات بما لا يصح،

(1) ابن بابويه ؛ محمد بن علي الصدوق: التوحيد 144.

وهذا نموذج مما كان لديهم وهو عمرو بن عبيد، حيث يقول الراوي: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال له: جعلت فداك قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[1] ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو إنّه من زعم أنّ اللّه قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وإنّ اللّه تعالى لا يستفزّه شيء فيغيره.[2]

وأوضح من ذلك في التجسيم والتشبيه، ما كان عليه أهل الشام وهي قولهم أن الله سبحانه وضع رجله على الصخرة في بيت المقدس وقد رد الإمام عليه السلام ذلك بقوله لجابر بن يزيد: «يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على اللّه عزّ وجلّ!.

يزعمون أنّ اللّه تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد اللّه قدمه على حجرة فأمرنا اللّه تبارك وتعالى أن نتخذه مصلّى، يا

(1) طه: 81.

(2) وكأنه يلتزم بأن الله ـ سبحانه وتقدس عن ذلك ـ في الحالة العادية يكون على حالٍ من الرضا فإذا تغيرت تلك الحال إلى الغضب فإنه يتغير ويظهر عليه ذلك، وقد ذكرت بعض الأحاديث الباطلة في نظر أهل البيت أن ذلك الغضب يتبينه حملة العرش من ثقل العرض وكأن هناك حمالين يحملون العرش والكرسي فإذا كان الله راضيًا يكون وزنه خفيفًا، فإذا غضب يصبح وزنه ثقيلًا!! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

جابر إنّ اللّه تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين واحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء هو السميع العليم».[1]

ويظهر أن الاتجاه الأموي وهو في صدد صناعة المشروعية لخلافتهم في الشام حاول جهده ليس فقط في تعظيم الخلفاء بل وأرض الشام، وبيت المقدس ـ لا حرصًا على بيت المقدس وإنما لأجل التوجيه إليه واكتساب المشروعية منه، حتى لقد فضلوه على الكعبة واستعانوا على ذلك بما وضعه لهم مسلمة أهل الكتاب الذين أخذوا من الكتب المحرفة فعن زرارة قال: كنت قاعدًا إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتبٍ مُستقبل القبلة (الكعبة) فقال: أما إنّ النظر إليها عبادة.

فجاءه رجل من بُجيلة يقال له: عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ كعب الأحبار كان يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدّس في كلّ غداة.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟

(1) عطاردي: مسند الإمام الباقر 1/ 202.

فقال: صدق، القول ما قال كعب.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك، وغضب.

قال زرارة: ما رأيته استقبل أحدًا بقول كذبت غيره.

ثمّ قال: ما خلق اللَّه عزّ وجلّ بقعة في الأرض أحبّ إليه منها ـ ثمّ أومأ بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على اللَّه عزّ وجلّ منها، لها حرّم اللَّه الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ثلاثة متوالية للحجّ: شوّال، وذو القعدة، وذوالحجّة، وشهر مفرد للعمرة وهو رجب».[1]

2/ **في صفات النبي المصطفى** صلى الله عليه وآله وسلم: وحين شاعت فكرة أن النبي أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وطار بها اليهود والنصارى فرحًا، واعتبروا أن ذلك من النقائص بينما أنبياؤهم ليس فيهم هذه النقيصة، وبثوها في كل مكان، حتى صارت الفكرة لدى بعض المسلمين، رد الإمام تلك الفكرة كما جاء في الرواية، حيث سأله أحد الرواة، قال قلت له: إنّ الناس يزعمون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتب ولا يقرأ!

(1) الكليني: الكافي 4/ 240.

فقال: كذبوا لعنهم اللّه أنّى يكون ذلك، وقد قال اللّه عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] فكيف يعلّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟

قلت: فلم سُمي النّبي الأمّي؟

قال: لأنه نسب إلى مكة وذلك قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[2] فأمّ القرى مكة فقيل أُمّيٌّ لذلك».[3]

3/ **المرجعية الدينية في الاختلاف:** من الطبيعي أن يحدث اختلاف في فهم القرآن والسُّنَّة بين المسلمين، فما هو المرجع في حل ذلك الاختلاف؟ لقد ذكر القرآن ذلك في قول الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وكان تشخيص أهل الذكر واضحًا بالكثير من الأحاديث لكن على أثر الإبعاد لهم والتعمية على فضائلهم، ضاعت الأحاديث والسُّنَّة، بل تقدم أعداؤهم خطوة حين أحلّوا غيرهم محلهم، حتى في تفسير هذه الآية حيث جعلوا أهل

(1) الجمعة: 2.
(2) الشورى: 7.
(3) المجلسي: بحار الأنوار 16/ 133.
(4) النحل: 43.

الذكر هم اليهود والنصارى! ومن العجيب أنهم رفضوا مرجعية آل النبي وقبلوا مرجعية اليهود والنصارى! وقد تصدى الإمام لبيان أنهم آل محمد ليس إلا! بل وأضاف أنهم لو سألوا اليهود والنصارى لأرشدوهم لدينهم!

فقد سأل محمّد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام وقال: «إن من عندنا يزعمون أن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] أنّهم اليهود والنّصارى قال: إذًا يدعونكم إلى دينهم قال: قال بيده إلى صدره نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون».[2]

بل إنهم رضوا بأن يكون عبد الله بن سلام ذو الأصول اليهودية هو الذي عنده علم الكتاب والشاهد على المسلمين، ورفضوا أن يكون علي بن أبي طالب هو مصداق تلك الآية مع أنه نفس رسول الله وباب مدينة علمه، فعن عبد اللّه بن عطاء، قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن عبد اللّه بن سلام بن عمران، يزعم أنّ أباه الذي يقول اللّه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3] قال: كذب هو علي بن أبي طالب عليه السلام.[4]

(1) النحل: 43.
(2) الكليني: الكافي 1/ 211.
(3) الرعد: 43.
(4) عطاردي: مسند الإمام الباقر 3/ 150.

4/ **وهل يحرم أن يكتم العالمُ علمَه؟** أو يسوغ له الأخذ بالتقية في ظروف وجود الظالمين؟ أو يخفي بعض علمه لعدم تحمل المتلقين والمستمعين؟ لقد كان مشهورًا عن الحسن البصري أنه لا يرضى بكتمان العلم وأن من يفعل ذلك يكون في النار، ويؤذي ريح بطونهم أهل النار. فرفض الإمام هذا المنطق وبيّن أن الحسن لا يشرب من عين صافية.

فعن عبد اللّه بن سليمان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى، وهو يقول إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الّذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار!

فقال أبو جعفر عليه السلام: فَهَلك إذًا مؤمن آل فرعون وما زال العلم مكتومًا منذ بعث اللّه نوحًا عليه السلام فليذهب الحسن يمينًا وشمالًا فواللّه ما يوجد العلم الّا ها هنا».[1]

5/ **أحكام فقهية ومسائل متنوعة**: وأما الأحكام الفقهية التي قام الإمام بتصحيحها فهي كثيرة، فإن أتباع مدرسة الخلفاء بعدما أعرضوا عن عترة النبي[2] صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يأتوا مدينة العلم النبوي من بابها وعطلوا بذلك حديث الثقلين، كان من الطبيعي

(1) الكليني: الكافي 1/ 51.

(2) وأوضح مصاديق ذلك: رفضهم الحديث الصحيح: حديث الثقلين (كتاب الله وعترتي) وأخذهم الحديث غير الثابت عندهم (كتاب الله وسنتي وسيأتي كلام الإمام الباقر أما العترة فقد قتلوا..

أن يكون فهمهم للقرآن غير تام، ومعرفتهم بالفقه النبوي مشوهة، ونورد بعض ما عُرض على الإمام عليه السلام من مسائل وبيّن فيها خطأهم وخطأ مستندهم:

ونحن نلاحظ هذا التعبير «من عندنا يزعمون كذا» أو «أن فلانًا يزعم كذا» وهو يشير إلى حالة اجتماعية متبعة وشائعة.

أ ـ **كيفية الوضوء**: وتتعدد المسائل المخالفة للسُّنَّة النبوية، والسبب هو ما قلناه من أن هؤلاء ابتعدوا عمّا كان ينبغي أن يقتربوا منه، ويأخذوا عنه، ومن ذلك كيفية الوضوء، حيث أن الشائع الآن في العالم الإسلامي ـ غير أتباع مذهب أهل البيت ـ هو الوضوء الثلاثي الغسلي،[1] والذي تم تأسيسه (اجتهادًا) في مقابل آيات القرآن واحتج مؤسسوه بسُّنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو غير صحيح حيث لم يكن النبي المصطفى ليخالف القرآن الكريم! فكان الإمام الباقر عليه السلام في تصحيحه لما كان لدى المسلمين من خطأ سواء في العقيدة أو في الفقه والشريعة، يحدّث باستمرار حاكيًا وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن

(1) للمراجعة ينظر الكتاب القيم للسيد علي الشهرستاني: وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث تتبع الروايات الموجودة في مصادر مدرسة الخلفاء، وأثبت أن هذا الوضوء الثلاثي الغسلي (حيث التزموا بتثليث الغسلات، كما التزموا بغسل الرأس وغسل الرجلين خلافًا لصريح القرآن) إنما تم الترويج له والضغط في اتجاهه وتجنيد الخلافة قوتها لنشره في أيام الخليفة الثالث.

سئل عن ذلك وإلا فإنه كان هو من يبتدئ الحاضرين معه قائلًا: ألا أحكي لكم وضوء رسول الله؟[1]

فقد روى الكليني بسند معتبر عن زرارة بن أعين قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلنا: بلى، فدعا بقِعبٍ فيه شيء من ماءٍ فوضعه بين يديه، ثم حسر عن ذراعيه ثم غمس فيه كفه اليمنى، ثم قال: هكذا إذا كانت الكف طاهرة، ثم غرف ملأها ماء، فوضعها على جبهته، ثم قال: بسم الله، وسدله على أطراف لحيته، ثم أمرَّ يده على وجهه وظاهر جبهته مرة واحدة ثم غمس يده اليسرى، فغرف بها ملأها ثم وضعه على مرفقه اليمنى فأمرَّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه، ثم غرف بيمينه ملأها فوضعه على مرفقه اليسرى فأمرَّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه، ومسح مقدم رأسه، وظهر قدميه، ببلة يساره، وبقية بلة يمناه. قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: إن الله وتر، يحب الوتر، فقد يجزيك من الوضوء ثلاث غرفات: واحدة للوجه، واثنتان للذراعين، وتمسح ببلة يمناك ناصيتك، وما بقي من بلة يمينك ظهر قدمك اليمنى، وتمسح ببلة يسارك ظهر قدمك اليسرى.

(1) ونلاحظ أن الروايات في هذا الباب متعددة وكذا الرواة.

قال زرارة: قال أبو جعفر عليه السلام: سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحكى له مثل ذلك.[1]

وعندما سأل زرارة وبكير ابنا أعين أبا جعفر عليه السلام عن وضوء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم «دعا بطست أو بتور فيه ماء فغسل كفيه ثمّ غمس كفه اليمنى في التور، فغسل وجهه بها واستعان بيده اليسرى بكفه على غسل وجهه، ثمّ غمس كفه اليمنى في الماء فاغترف بها من الماء، فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الأصابع لا يرد الماء إلى المرفقين، ثمّ غمس كفه اليمنى في الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق إلى الكف لا يردّ الماء إلى المرفق، كما صنع باليمنى ثمّ مسح رأسه وقدميه إلى الكعبين بفضل كفيه ولم يجدّد ماء».[2]

وبالنظر إلى باب كيفية الوضوء في كتاب وسائل الشيعة، سنجد أن هناك خمسًا وعشرين رواية، أكملها وأوضحها وأصحها طريقًا هو ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، شارحًا كيفية وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إما مبتدئًا الراوي أو الرواة، أو مجيبًا على أسئلتهم، ومن بين هذه الروايات الخمس والعشرين، هناك عشر روايات هي بهذا النحو، يرويها تارة الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه،

(1) الحر العاملي وسائل الشيعة (آل البيت) 1/ 388.

(2) المصدر نفسه 1/ 505.

وأخرى تلامذته وتلامذة أبيه كزرارة وبكير ومحمد بن مسلم وميسر.

ونلحظ في هذه الروايات الإشارات الصريحة في مخالفة ما عليه المذهب الرسمي لوضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سيما في مثل قوله: «يجزيك من الوضوء ثلاث غرفات: واحدة للوجه، واثنتان للذراعين، وتمسح ببلة يمناك ناصيتك، وما بقي من بلة يمينك ظهر قدمك اليمنى، وتمسح ببلة يسارك ظهر قدمك اليسرى». في مقابل مبالغة المذهب الرسمي في الغسل للرأس والرجلين. وفي مثل قوله: «بفضل كفيه ولم يجدد ماءً» وكذلك في قوله: «لا يرد الماء إلى المرفق».

ب - **وكذلك المسح على الخفين** فإنه لا يوافق سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن رقبة بن مصقلة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسألته، عن أشياء فقال: إني أراك ممّن يفتي في مسجد العراق!

فقلت نعم فقال: لي ممّن أنت؟ فقلت: ابن عمّ لصعصعة! فقال: مرحبًا بك يا بن عمّ صعصعة.

فقلت له: ما تقول في المسح على الخفين؟

فقال: كان عمر يراه ثلاثًا للمسافر ويومًا وليلة للمقيم وكان أبي لا يراه في سفر ولا حضر!

فلمّا خرجت من عنده فقمت على عتبة الباب فقال لي: اقبل يا بن عمّ صعصعة فأقبلت عليه فقال: إن القوم كانوا يقولون برأيهم فيخطئون ويصيبون وكان أبي لا يقول برأيه![1]

ويظهر من بعض الروايات أن قضية المسح على الخفين في الوضوء، كانت ـ ولا تزال ـ شائعة بحيث يقول الراوي أدركت (الناس) يمسحون![2] وبالفعل لا نزال نرى آثار ذلك إلى يومنا هذا بالرغم من أنه ليس موافقًا لسُّنَّة النبي ولا أهل بيته، مما يدلّك على المقدار الكبير من الدعم لهذا التوجه في الأمة! فقد قال قيس بن الربيع: سألت أبا إسحاق السبيعي عن المسح على الخفين فقال: أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلًا من بني هاشم لم أرَ مثله قطّ، محمّد بن علي بن الحسين عليهما السلام، فسألته عن المسح فنهاني عنه وقال لم يكن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام يمسح وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين![3] قال أبو

(1) عطاردي: مسند الإمام الباقر عليه السلام3/ 502.

(2) قال النووي في المجموع شرح المهذب 1/ 476: «مذهبنا ومذهب العلماء كافة جواز المسح على الخفين في الحضر والسفر وقالت الشيعة والخوارج لا يجوز»..

(3) نقل هذا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو باب مدينة العلم النبوي، ومعنى ذلك أن المسح على الخفين مخالف لصريح الآية الآمرة بالمسح على الأرجل، ولا يصدق المسح عليها إلا بالمسح المباشر دون المسح على الخف والجورب وهكذا، ومن العجيب أن فقهاء المذهب الرسمي بينما هم يبالغون للغاية في غسل الرأس والرجلين ولا يقبلون المسح عليهما مع صراحة القرآن في المسح وكما نقل عن ابن عباس (نزل القرآن بالمسح ويأبى الناس إلا الغسل) فإذا بهم في =

إسحاق: فما مسحت منذ نهاني، قال قيس بن الربيع وما مسحت أنا منذ سمعت أبا إسحاق!

ومن الحديث السابق ينفتح باب فهم جانب من الاختلاف بين المسلمين، ولماذا نجده بينهم مع أنهم جميعًا ـ كما يفترض ـ يتبعون القرآن وسنة النبي، وهناك باب آخر أوضحه الإمام عليه السلام في موضع آخر، وهو ما أخبر عنه جابر بن يزيد فقال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كيف اختلف أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على المسح على الخفّين؟

فقال: كان الرجل منهم يسمع من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الحديث، فيغيب عن الناسخ ولا يعرفه فإذا أنكر ما خالف ما في يديه كبر عليه تركه.

وقد كان الشيء ينزل على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فعمل به زمانًا ثمّ

= موضوع المسح على الخفين، يتركون الغسل طرا، ويتركون المباشرة للرجل فلا مانع من أن تمسح على الخف والحذاء والجورب وما شابه! حتى في الحضر فضلا عن السفر!
وإذا احتج محتج كما فعلوا بأن هذا جاء عن رسول الله، فمع التنزل يقول أمير المؤمنين عليه السلام إن ذلك قبل آية المائدة وهي ناسخة لما قيل من أن النبي سنّه وأجازه، ففي رواية معتبرة لزرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول جمع عمر بن الخطاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم علي عليه السلام؛ فقال: ما تقولون في المسح على الخفين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح على الخفين! فقال علي عليه السلام: قبل المائدة أو بعدها؟ فقال لا أدري! فقال عليٌّ عليه السلام: سبق الكتاب الخفين إنما أنزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة! (عن جامع أحاديث الشيعة 2/ 323).

يؤمر بغيره فيأمر به أصحابه وأمّته حتّى قال أناس: يا رسول اللَّه! إنّك تأمرنا بالشيء حتّى إذا اعتدناه وجرينا عليه أمرتنا بغيره.

فسكت النبيّ ﷺ عنهم فأنزل عليه: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

أ - **هل ينقض الوضوءَ لمسُ المرأة؟** في حين ذهب بعض فقهاء مدرسة الخلفاء إلى أن من نواقض الوضوء ملامسة الرجل للمرأة، واستدلوا بظاهر الآية رفض الإمام الباقر عليه السلام هذا الفهم الظاهري الحرفي، وبيّن أن المقصود منه الجماع لكن القرآن مهذب في ألفاظه فلا تراه استعمل مثل هذه الألفاظ الصريحة، تعويدًا منه المسلمين على أدب المخاطبة.. ويشير إلى ذلك ما عن أبي مريم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الرجل يتوضأ ثم يدعو الجارية فتأخذه بيده حتى ينتهي إلى المسجد، فانّ من عندنا يزعمون أنها الملامسة؟ فقال: لا واللّه ما بذاك بأس وربما فعلته! وما يعني بهذا أي: ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2] إلا المواقعة في الفرج».[3]

(1) الأحقاف: 9.

(2) النساء: 43.

(3) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) 1/ 383، وفي مقابل هذا ذهب فقهاء مدرسة الخلفاء إلى أنه ينتقض الوضوء بمجرد لمس المرأة ومماسة بشرتها فقد قال =

والمقصود أن ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1] لا يثبت أن لمس المرأة ناقض للوضوء كما ذهب إليه بعض فقهاء مدرسة الخلفاء قديمًا وحديثًا، وإنما المقصود هو الجماع وأنه يوجب الغسل فإن لم يكن الماء موجودًا فيتيمم بدلًا عن الغسل.

ومن ذلك أيضًا قضاء الحائض الصلاة، فإن الثابت أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، لكن بعضهم أوجب عليها الأمرين، فعن إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام انّ المغيرة يزعم انّ الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم!

= النووي في «المجموع شرح المهذب» (2/ 23 ط المنيرية): «وأما لمس النساء فإنه ينقض الوضوء وهو أن يلمس الرجل بشرة المرأة أو المرأة بشرة الرجل بلا حائل بينهما فينتقض وضوء اللامس منهما لقوله تعالى (أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا)» ثم ذهب في الشرح وهل أن الملموس يبطل وضوؤه كذلك أو لا؟ وهل يستوي في ذلك المرأة من المحارم مع غير المحارم؟ وهل يبطل لو لمس امرأة لا تشتهى كالعجوز أو الصغيرة؟ وهكذا.. وكله فرع عن أصل خاطئ وهو تفسير الملامسة باللمس بينما هي كما قال الإمام الباقر عليه السلام هنا تعني الجماع! فيبطل الوضوء لو جامع الرجل! فتصور كيف ينبغي أن يعلن المتوضئ في بيته حالة الطوارئ فلا يلمس أحدًا من نسائه أو بناته ـ بناء على شموله للمحارم ـ ولا يلمسه أحد منهن بناء على شموله للملموس!! وماذا يكون حال من أراد أن يكون على طهارة ووضوء دائمًا! هل عليه أن يحرم على نفسه لمس أحد منهن (من زوجة وأخت وبنت وحفيدة)؟

(1) النساء: 43.

فقال: ماله؟ لا وفقه اللّه إنّ امرأة عمران قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1] والمحرر للمسجد لا يخرج منه أبدًا فلمّا وضعت مريم ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾[2] فلمّا وضعتها أدخلتها المسجد فلمّا بلغت مبلغ النساء أخرجت من المسجد، أنّى كانت تجد أيّامًا تقضيها وهي عليها أن تكون الدهر في المسجد؟

- في قضايا الطلاق الشرعي والبدعي:

يشترط فقه أهل البيت تبعًا لجدهم رسول الله ﷺ، لكي يتحقق الطلاق الشرعي المترتب عليه الفرقة بين الزوجين شروطًا لو تخلّف أحدها لكان باطلًا ولا يترتب عليه أثر، منها: أن تكون المرأة طاهرًا (ليست في حالة حيض أو نفاس)، وأن لا يكون قد جامعها في ذلك الطهر، وأن يكون هناك شاهدان عادلان يسمعان صيغة الطلاق من الزوج أو وكيله.[3]

---

(1) آل عمران: 35.

(2) آل عمران: 36.

(3) ونحن نلاحظ أنه بالإضافة إلى قيام الدليل على ما سبق، فإن هذه الشروط تتوافق مع فلسفة الإسلام في الطلاق ورغبة المشرّع في تقليله قدر الإمكان للحفاظ على الأسرة والحياة الزوجية، وباعتبار أنه أبغض الحلال عند الله. وسعى الدين لأجل ذلك إلى تكثير الشروط بحيث يقل في النتيجة تحقق الطلاق! فإذا اشترط الشاهدين العادلين فمتى يتوفر هذان الشاهدان؟ لا سيما أن أكثر حالات الطلاق إنما تحصل في حالات غضب عارم ولحظات انفعال مؤقت! ولو =

وفي مقابل ذلك لم يلتزم المذهب الرسمي بهذه الشروط بالرغم من أنه لا يجيز الطلاق في حال الحيض، والنفاس بل حتى في طهر المواقعة، ولا في اشتراط العادلين.. ويستشهدون بقصة ينفيها الإمام الباقر عليه السلام، وهي التالية التي رواها زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده إذ مرّ به نافع مولى ابن عمر، فقال له: أبو جعفر عليه السلام: أنت الّذي تزعم أنّ ابن عمر طلّق امرأته واحدة وهي حائض فأمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عمر أن يأمره أن يراجعها!

قال: نعم! فقال له: كذبتَ واللّه الّذي لا إله إلّا هو على ابن عمر. أنا سمعت ابن عمر يقول: طلّقتها على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثًا فردّها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عليّ وأمسكتها بعد الطلاق، فاتّق اللّه يا نافع ولا ترو على ابن عمر الباطل.[1]

- وما يرتبط بالنكاح المنقطع: فإن فقهاء مدرسة الخلفاء مع العلم بأن القرآن قد ذكره وشرعه، والنبي كذلك بل والخليفة الأول وكان عند المسلمين كخيار من الخيارات في العلاقة

= فرضنا جاء الشاهدان وكانت المرأة في حال الدورة الشهرية وهي تحصل بمعدل ربع الشهر، فهذا يؤخر موضوع الطلاق، وحتى لو حصل أنها طاهر فلا بدَّ أن لا يكون قد حصل جماع خلال هذه الفترة من الطهر.. كل ذلك يؤدي إلى تقليل الطلاق. بينما عدم الالتزام بهذه الشروط كما هو الحال في مدرسة الخلفاء يؤدي ـ بشكل إرادي أو غير ارادي ـ لزيادة الطلاق. والمثال الذي في المتن هو من هذا القبيل.

(1) عطاردي: مسند الإمام الباقر عليه السلام 5/ 7.

الزوجية، إلا أن الخليفة الثاني لرأي رآه، منع منه وهدد بالعقوبة عليه، فصار هذا المنع بديلًا عن التشريع الأصلي! والغريب أنه بدلًا من الرجوع إلى التشريع الأصلي والسُّنَّة النبوية بعد زوال مبررات المنع ـ على فرض القبول بها ـ فإذا بهذا المنع هو الذي يكون الشريعة والسُّنَّة، بينما يكون الحكم الشرعي والسُّنَّة النبوية في تجويزه هو الذي يحتاج إلى دليل! ويعاتَب من يفتي به! ويشنَّع على من يؤمن به! حتى أصبح الشيعة يوصَمون من قبل الجهلة بأنهم «أبناء المتعة»! ويظهر أن الأساس كان في ذلك الزمان.

فقد «روي أنّ عبد اللَّه بن معمر الليثي قال لأبي جعفر الباقر عليه السلام: بلغني أنّك تفتي في المتعة؟

فقال: أحلّها اللَّه في كتابه وسنّها رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وعمل بها أصحابه.

فقال عبد اللَّه: فقد نهى عنها عمر! قال: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عبد اللَّه: فيسرّك أنّ نساءك فعلن ذلك؟ قال أبو جعفر عليه السلام: وما ذكر النساء هاهنا يا أنوك[1]؟ إنّ الذي أحلّها في كتابه وأباحها

(1) أي يا أحمق!

لعباده أغير منك وممّن نهى عنها تكلّفًا، بل يسرُّك أنّ بعض حرمك تحت حائك من حاكة[1] يثرب نكاحًا؟

قال: لا.

قال: فلم تحرّم ما أحلّ اللَّه؟ قال: لا أُحرّم، ولكنّ الحائك ما هو لي بكفؤ.

قال: فإنّ اللَّه ارتضى عمله ورغب فيه وزوّجه حورًا، أ فترغب عمّن رغب اللَّه فيه وتستنكف ممّن هو كفو لحور الجنان كبرًا وعتوًّا؟

قال: فضحك عبد اللَّه وقال: ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره، وللنّاس ورقه».[2]

- **ويشترط في الشاهد - عند أهل البيت -** طهارة المولد، خصوصا أنه يستشهد في أمور خطيرة كقصاص النفس والأموال الخطيرة والأنساب وغيرها، وهو أمر طبيعي مثلما يشترط في بعض الموارد: الذكورة، إلا أن بعض الاتجاهات

(1) بعض مذاهب مدرسة الخلفاء ترى كفاءة النسب (بما يشمل المهنة التي يمتهنها الرجل) شرطًا للزواج وتبطل الزواج لو لم يكن بينهما تكافؤ فالأعجمي مثلًا لا يكافئ العربي والعربي عامة لا يكافئ القرشي وهكذا! والإمام هنا يريد إلزام الليثي بما يعتقده.

(2) الآبيّ؛ منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات 1/ 236.

في مدرسة الخلفاء لا ترى اشتراط ذلك وقد بيّن الإمام الباقر خطأها، فعن أبي بصير قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزّنا تجوز؟ فقال: لا![1] فقلت: إنّ الحكَم بن عتيبة يزعم أنّها تجوز؟. فقال: اللّهم لا تغفر ذنبه![2] ما قال اللّه للحكَم ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾[3] فليذهب الحكَم يمينًا وشمالاً فو اللّه لا يؤخذ العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام.

كتاب عليّ وإحضار سُنَّة النبي المصطفى

إحضار سنة النبي المصطفى بتدوين علي المرتضى إلى ساحة الأمة من خلال التأكيد على (كتاب عليّ) عند فقهاء الإسلام.

وقد ذكرنا في مواضع متفرقة من هذا الكتاب أن سُنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تعرضت لمشكلتين: إحداهما المنع من تدوينها وتداولها ونشرها، وقد صدرت بهذا مراسيم سلطانية وحكومية

(1) الماوردي؛ علي بن محمد: الحاوي الكبير 17/ 210: «قال الشافعي رضي الله عنه: «ويجوز شهادة ولد الزنا في الزنا».
قال الماوردي: وهذا صحيح، لأن الأنساب ليست من شروط العدالة فتقبل شهادة ولد الزنا إذا كان عدلا في الزنا وغير الزنا.
وقال مالك: لا أقبل شهادته في الزنا وأقبلها في غير الزنا وقال غيره من فقهاء المدينة: لا أقبل شهادته بحال»

(2) لعل الدعاء عليه لجرأته على الإفتاء ونسبة الحكم إلى الله من غير دليل وحجة!

(3) الزخرف: 44.

مثلت الموقف الرسمي قرابة تسعين سنة من الزمان إلى أيام عمر بن عبد العزيز.

والأخرى: أن ما تم إخراجه للناس من سنة النبي على يد الخط القرشي كان الكثير منه لا يتوافق مع السُّنَّة النبوية الحقيقية، وكان هناك حصار على حديث أهل بيت النبوة، وهو الذي أشار إليه صراحة معاوية بن أبي سفيان أيام خلافته، ونهيه ابن عباس وغيره عن ذكر عليّ وأحاديثه!

والعمل المهم الذي قام به الإمام السجاد عليه السلام وقد أشرنا إليه في كتابنا سيد العابدين أنه تمكن من رفع هذا الحصار عن منهاج علي بن أبي طالب الفكري والفقهي، وأعاده إلى الساحة الإسلامية، وكان هو صلوات الله عليه محل إجماع من فقهاء المسلمين (علمًا وورعًا وتقىً).

لكن الذي كان مكلفًا ببقر العلم وكشفه واستخراج أسراره هو ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وقام في هذا بعدة أعمال منها الإشارة إلى (كتاب عليّ) عليه السلام وهو سُّنَّة النبي وإملاؤه من فمه المبارك وخط علي بن أبي طالب بيده الكريمة.

إن كتابًا محفوظًا كهذا ـ والذي سيستشهد به فيما بعد الإمام الصادق كثيرًا ـ سيكون «حلال المشاكل» و«فيصل الحكم» فيما

يقال ويروى عن النبي من هنا وهناك! إذ لا يوجد من هو أقرب من علي بن أبي طالب لرسول الله عليهما وآلهما السلام، كما أن كونه مكتوبًا ومدونًا يعطيه ميزة في الانحفاظ والبقاء، قد لا تكون موجودة في ما هو محفوظ في الصدور على فرض سلامة المحدث من الرغبة والرهبة! ومن تمادي الزمان، حيث سيمر نحو قرن من الزمان على حديث النبي ويذهب جيل ويأتي جيل بعده أو أكثر، هذا فضلًا عمّا ذكرنا آنفًا من الموقف الرسمي الممانع.

ومع اعتقادنا واعتقاد الرواة غالبًا لهذه الأحاديث بأن الموقع التشريعي للنبي والإمام واحد، وأننا نرى حديث الإمام كحديث النبي حجة، إلا أنه مع ذلك فإن الإمام الباقر عليه السلام يصرّ على الاستناد إلى (كتاب علي) وهو (سُنَّة النبي) من أجل تأكيد الاتصال بين الإمامة والنبوة من جهة، ولتخطئة الكثير مما يروى عن النبي على أنه سنته!

وقد لا نرى هذا الحضور لـ (كتاب عليّ) عليه السلام في أيام الحسنين والسجاد عليهم السلام بنفس المقدار الذي كان فيه أيام الإمام الباقر ثم الصادق عليهما السلام.

ولأجل ما تقدم لا نستغرب عندما لا نجد أي حضور لهذا

الكتاب وما جاء فيه من الروايات، في مصادر مدرسة الخلفاء قديمًا وحديثًا؛ بالمقدار الذي بحثنا فيها وفتشنا عنه![1]

وسنعرض هنا لشيء مما جاء عنه وفيه ـ مراعين للاختصار ـ:

أ ـ قال المحقق الطهراني في شأن كتاب علي؛ هو «أمالي سيدنا ونبينا أبي القاسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أملاه على أمير المؤمنين عليه السلام وهو كتبه بخطه الشريف. هذا أول كتاب كتب في الإسلام من كلام البشر من إملاء النبي وخط الوصي. والنسخة التامة منه مذخورة عند الحجة المنتظر كسائر مواريث الأنبياء ورثها عن آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. وهو كتاب مدرج عظيم يفتح ويقرأ منه على ما ترشدنا إليه أحاديث

(1) بل على العكس من ذلك وجدنا هؤلاء المؤلفين مأسورين بفكرة عدم وجود ميزة للإمام علي عليه السلام، وعدم اختصاص رسول الله إياه بحديث أو كتاب أو غير ذلك، وإذا اضطروا إليه ذكروا شيئًا لا يستحق التوقف عنده، فانظر إلى كلام ابن حزم في «المحلى بالآثار» 10/ 230 حيث يقول: «سمعت الشعبي يقول: أنا أبو جحيفة ـ هو السوائي ـ قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى القرآن؟ قال علي: «لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله عبدًا فهمًا في كتابه، أو ما في الصحيفة؟ قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر». فأين هذا وما قاله الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام في شأن كتاب علي عليه السلام؟ والذي بقي إلى زمانهما بل زمان الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام.
ومن الإهمال والإغفال لها ما نقل في مسند أحمد 1/ 119 «عن طارق بن شهاب، قال: رأيت عليًّا رضي الله عنه على المنبر يخطب وعليه سيف حليته حديد، فسمعته يقول: واللّه ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلّا كتاب اللّه تعالى وهذه الصحيفة، أعطانيها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فيها فرائض الصدقة. قال لصحيفة معلقة في سيفه».

أهل البيت عليهم السلام نتيمن بذكر حديث واحد منها رواه النجاشي في كتابه في ترجمة محمد بن عذافر بإسناده إلى عذافر بن عيسى الصيرفي قال كنت مع الحَكَم بن عيينة عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فجعل يسأله الحَكَم وكان أبو جعفر له مكرِمًا فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر: يا بني قم فأخرِجْ كتاب علي عليه السلام فأخرج كتابًا مدرجًا عظيمًا ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة! فقال أبو جعفر عليه السلام هذا خط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يمينًا وشمالًا فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل». [1]

ب / إن هذا الكتاب «المدرج العظيم» كان فيه أحاديث في العقائد الأساسية للمسلم، كما فيه الأحكام الفقهية، وكذلك الأخلاق والمعارف، بل فيه كل ما يحتاج إليه كما قال الإمام الباقر للفضيل بن يسار: «يا فضيل عندنا كتاب عليٍّ عليه السلام سبعون ذراعًا ما على الأرض من شيء يُحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش ثم خط بيده على إبهامه». [2]

(1) الطهراني؛ آقا بزرگ: الذريعة 2/ 306.

(2) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: الفصول المهمة في أصول الأئمة 1/ 504.

فمن العقائد ما سأل عنه معروف بن خربوذ (أحد خلَّص الأصحاب) الإمامَ الباقرَ عليه السلام عن حديث حذيفة بن أسيد الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من أن النبي قال: «ألا وإني سائلكم غدًا عما صنعتم بالثقلين من بعدي فانظروا كيف تكونون خلَفْتموني فيهما حين تلقوني قالوا: وما الثقلان؟ قال: أما الثقل الأكبر فكتاب اللّه سبب ممدود من اللّه ومني في أيديكم، إلى أن قال: وأما الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو علي بن أبي طالب وعترته عليهم السلام، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». قال معروف بن خربوذ: فعرضت هذا الكلام على أبي جعفر عليه السلام فقال: صدق أبو الطفيل رحمه الله هذا كلام وجدناه في كتاب علي عليه السلام وعرفناه».[1]

وفيما يرتبط بموقع شيعة الإمام علي عليه السلام فقد ورد ذكرهم في هذا الكتاب كما روي عن يعقوب بن ميثم أنه وجد في كتب أبيه: أن عليًّا عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[2] ثم التفت إلي فقال: هم أنت يا علي وشيعتك وميعادك وميعادهم الحوض، تأتون غُرًّا مُحجلين مُتوّجين. قال يعقوب: فحدّثت به أبا جعفر عليه السلام فقال: هكذا هو عندنا في كتاب عليّ صلوات الله عليه».[3]

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات 2/ 108.
(2) البيّنة: 7.
(3) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) 16/ 183.

ج/ **وأما الأحكام الفقهية** فقد نقلت المصادر الإمامية كثيرًا منها في أبواب متنوعة من أبواب الفقه،[1] فمن ذلك ما جاء في باب غسل الجنابة، حيث أن المشهور عن مدرسة الخلفاء أنهم يتوضؤون قبل غسل الجنابة وينقلون ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، فكذبهم الإمام الباقر واستند إلى أنه غير موجود في كتاب علي، فعن محمد بن مسلم قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام إن أهل الكوفة يروون عن علي عليه السلام أنه كان يأمر بالوضوء قبل الغسل من الجنابة قال: كذبوا على علي عليه السلام ما وجدوا ذلك في كتاب علي عليه السلام[2] قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.[3]

وفي كتاب الميراث تؤكد قواعد كتاب علي عليه السلام ما كان من سنة النبي من أن سهام الفريضة لا يمكن أن تعول، فإن الذي أحصى رمل عالج ليس يخفى عليه هذه السهام، فعن محمّد بن مسلم قال: أقرأني أبو جعفر عليه السلام صحيفة كتاب الفرائض التي هي

(1) ذكر الباحث الشيخ مهدي مهريزي في مقاله (بالفارسية) أنه ورد نحو (150) حديثا في مختلف المصادر الإمامية جاء فيها تعبير كتاب علي، وقد تم إحصاء ما يقرب من (74) راويا من رواة الأئمة فيها.. قسم كبير منهم هم أصحاب الإمام الباقر.

(2) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: تهذيب الأحكام 1/ 142.

(3) المائدة: 6. ووجه الدلالة فيه التمسك بالإطلاق حيث أن المولى الحكيم في مقام بيان الواجب حال الجنابة، فأوجب الطهارة وهي تحصل بالغسل ولم يضف إليها شيئًا لا قبل ولا بعد.

إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وخط عليّ عليه السلام بيده، فإذا فيها أنّ السهام لا تعول».[1]

وفي باب ميراث النساء من العقار نجد أن ما جاء في كتاب علي مخصِّص لعمومات القرآن، وهذا ما يفتي به مشهور الفقهاء الإمامية اعتماداً على رواية رواها عبد الملك قال: «دعا أبو جعفر عليه السلام بكتاب عليٍّ عليه السلام فجاء به جعفر عليه السلام مثل فخذ الرجل مطويٌّ فإذا فيه: إنّ النساء ليس لهنّ من عقار الرجل إذا هو توفي عنها شيء. فقال أبو جعفر: هذا واللّه خطّ علي عليه السلام بيده وإملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم».[2]

وفي باب الأطعمة والأشربة يروي محمد بن مسلم قواعد عامة قد وردت في هذا الكتاب فعنه أنه قال: أقرأني أبو جعفر عليه السلام شيئاً في كتاب عليّ عليه السلام فإذا فيه: أنهاكم عن الجريث والزمير والمارماهي والطافي والطحال.

قلت: رحمك اللّه! إنّا نُؤتى بالسمك ليس له قشر؟! فقال: كُلْ ما له قشر من السمك، وما كان ليس له قشر فلا تأكله.[3]

(1) الكليني: الكافي 7/ 93، والمقصود من رمل عالج هو الرمال المتراكمة في الصحراء بعضها على بعض، فكما أن الله سبحانه قد أحصى حبات الرمل تلك ، فلا يعسر عليه أن ينظم سهام الميرات بحيث لا تزيد أو تنقص.

(2) الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات 185.

(3) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: تهذيب الأحكام 9/ 2.

د/ وفي الأخلاقيات والمواعظ نجد في (كتاب علي عليه السلام) الآثار الإيجابية لحسن الظن بالله عز وجل، وفي المقابل الآثار المدمرة لسوء الظن بالله. وأيضًا ما تخلف طاعة أحكام الله سبحانه كالزكاة من آثار في البيئة والطبيعة والإنسان، وما يترتب على عصيانها من تواليَ سيئة. ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام «وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال على منبره: والذي لا إله إلّا هو ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه باللّه، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلّا هو لا يعذّب اللّه مؤمنًا بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه باللّه وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين».[1]

وكذلك ما نقله الثمالي عن الباقر عليه السلام قوله أنه «وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا ظهر الزنا من بعدي ظهرت موتة الفجأة، وإذا طُفِّفَت المكاييل أخذهم اللّه بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا في الحكم تعاونوا على الإثم والعدوان».[2]

(1) الكليني: الكافي 2/ 72.

(2) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الأمالي ص 210.

وذكر الشيخ الصدوق في كتاب الخصال: عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبدًا حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها وإن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم، وإن القوم ليكونون فجارًا فيتواصلون فتنمى أموالهم ويبرون فتزداد أعمارهم، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لَتَذَران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرحم، وإن تثقل الرحم انقطاع النسل».[1]

بل يظهر من بعض الروايات أن هذا الكتاب فيه حتى بعض المعارف العامة المرتبطة بوضع الأمة من حاكم وثائر وهكذا، وهو ما يشير إليه رواية المعلى بن خنيس «قال: كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام إذ أقبل محمّد بن عبد اللّه بن الحسن فسلّم، ثمّ ذهب ورقّ له أبو عبد اللّه ودمعت عينه، فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟! قال: رققتُ له لأنّه ينسب في أمر ليس له ؛ لم أجده في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأُمّة ولا ملوكها».[2]

وقد اقتصرنا في هذه الأمثلة على ما جاء عن الامام الباقر عليه السلام،

(1) ابن بابويه؛ محمد بن علي الصدوق: الخصال ص 138.
(2) الكليني: الكافي 8/ 395.

حيث أن حديثنا عن سيرته وإلّا فإن ما جاء في شأن هذا الكتاب عن الإمام الصادق عليه السلام هو كثير للغاية.

ومن أراد التفصيل في معرفة هذا الكتاب وما جاء فيه فليرجع إلى كتاب: المروي من كتاب علي عليه السلام تأليف محمد أمين پور أميني، وإلى الدراسة القيمة للشيخ مهدي مهريزي المنشورة في موقع حديث نت.

نماذج من تراث الإمام الباقر عليه السلام

سوف نشير في هذه الصفحات إلى بعض ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام، كنماذج تعرف بباقي ذلك التراث، ونرجع في ذلك الباقي إلى الكتب المفصلة التي نقلت أحاديثه عليه السلام، ككتاب المسند وغيره.

وسنعرض إلى: حديث الإمام وروايته المفصلة في الحج، وإلى ما نقله الطبري عنه في مقتل جده الإمام الحسين عليه السلام، ونقدم ملاحظاتنا في تلك الشواهد:

الطبري ومقتل الإمام الحسين عليه السلام:

تحت عنوان: ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

حدثني زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي ـ ويكنى أبا الوليد ـ قال: حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري، قال: حدثنا عمار الدهني، قال: قلت لأبي جعفر:

حدثني بمقتل الحسين حتى كأني حضرته، قال:

1/ مات معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيعته، فقال له: أخرني وارفق، فأخره، فخرج إلى مكة، فأتاه أهل الكوفة ورسلهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا ـ وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة، قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي، فإن كان حقًّا خرجنا إليهم فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمرا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة.

فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة، قال: فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفًا قال: فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف أو متضعف، قد فسد البلاد! فقال له النعمان: أن أكون ضعيفًا وأنا في طاعة الله أحب إليَّ من أن أكون قويًّا في معصية الله، وما كنت لأهتك سترًا ستره الله.

فكتب بقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولى له يقال له: سرجون، ـ وكان يستشيره ـ فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلًا من معاوية لو كان حيًّا؟ قال: نعم، قال: فاقبل مني، فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله ابن زياد، فولها إيّاه ـ وكان يزيد عليه ساخطًا، وكان همّ بعزله عن البصرة ـ فكتب إليه برضائه، وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده.

قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثمًا، ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم الا قالوا: عليك السلام يا بن بنت رسول الله ـ وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام ـ حتى نزل القصر، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف، وقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دلّ على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقيه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سرني لقاؤك إياي، وقد ساءني، فأما ما سرني من ذلك فما هداك الله له، وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد فأدخله إليه، فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيد الله فأخبره.

فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان

فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفًا من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم.

وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة: ما لي أرى هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني! قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره، فقالوا: إن الأمير قد ذكرك واستبطأك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: أتتك بحائن رجلاه، فلما سلم عليه قال: يا هانئ، أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قطع به، فقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوته إلى منزلي ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ، قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، قال: أدنوه إلي، فأدني فضربه على حاجبه فشجه، قال: وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليسله، فدفع عن ذلك، وقال: قد أحلّ الله دمك، فأمر به فحبس في جانب القصر.

وقال غير أبي جعفر: الذى جاء بهانىء بن عروة إلى عبيد الله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي.

2/ قال: فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟

قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيرًا أرجوه، فهم أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخلا كي لا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسًا ومائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري وعهد إليه عهده فقال: اكفني هذا الرجل، قال: أعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخره، فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضيًا بما أمر به، فتوجه إليه عمر بن سعد.

3/ فلما أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور، فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي! فقال له الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبدًا.

4/ فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم، وفيهم بضعة عشر شابًّا من أهل بيته، وجاء سهم فأصاب ابنًا له معه في حجره، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللَّهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، ثم أمر بحبرة فشققها، ثم لبسها وخرج بسيفه، فقاتل حتى قتل صلى الله عليه وآله وسلم، قتله رجل من مذحج وحزَّ رأسه، وانطلق به إلى عبيد الله وقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمًّا وأبَا وخيرهم إذ ينسبون نسبَا.

5/ وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول: يفلقن هامًا من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلمًا فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فو الله لربما رأيت فا (فم) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على فيه يلثمه! وسرح عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن علي إلا غلام كان مريضًا مع النساء، فأمر به عبيد الله ليقتل، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلوني! فرق لها، فتركه وكفَّ عنه.

6/ قال: فجهزهم وحملهم إلى يزيد، فلما قدموا عليه جمع من

كان بحضرته من أهل الشام، ثم أدخلوهم، فهنؤوه بالفتح، قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله، قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا، ثم أدخلهم على عياله، فجهزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم!
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
«أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي».[1]

وقبل أن نقف وقفات مع النص السابق، نشير إلى الراوي الأساس عن الإمام الباقر، وهو عمّار بن معاوية الدُّهْني ـ بضم أوّله، وسكون الهاء، بعدها نون ـ أبو معاوية البَجَلي، الكوفي،

(1) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك 5/ 349 و390

كانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ذكره رجاليو مدرسة الخلفاء فقالوا: هو ثقة يتشيّع، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي، وقال الذهبي: «ما علمت أن أحدًا تكَلَّم فيه» ولكنه شيعي».

وبالرغم من نفي الإمام الخوئي رحمه الله تشيّعَه،[1] ومثله المحقق التستري.[2] إلا أن الصحيح هو ما ذهب إليه العلامة المامقاني في تنقيح المقال[3] بقوله تعقيبًا على كلام النجاشي «في ابنه معاوية.. وكان عمار أبوه ثقة في العامة وجهًا» قال المامقاني: ليس مراد النجاشي كونه عاميًّا (سنيًّا) ثقة بل أن العامة أيضًا كانوا يثقون به فيشهد لتشيعه..» ونقل عدة موارد تشهد لذلك.

وأما من جهة النص الذي نقله الطبري:

فالملاحظة الأولى عليه: ما ذكره الشيخ القرشي رحمه الله من «أن عمارًا الدهني طلب من الإمام عليه السلام أن يحدثه ـ بالتفصيل ـ عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام كأنه قد حضره، أما الجواب فقد كان موجزًا، ولم يشر إلى كثير من الأحداث لا بقليل ولا بكثير، فقد

(1) معجم رجال الحديث 13/ 269.
(2) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال 8/ 9.
(3) نقله عنه التستري في القاموس.

طويت فيه أكثر فصول تلك المأساة، ومن الطبيعي أن هذا لا يتناسب مع السؤال الذي يطلب فيه المزيد من المعلومات».[1]

وما أشار إليه الشيخ القرشي صحيح، ونزيد ذلك بيانًا بأننا لو نظرنا إلى الكتب الأخرى التي ألفت وذكرت مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ككتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230 هـ) فقد بين تفاصيل خروج الإمام الحسين عليه السلام وأوسع القول في ذكر مقتل أصحابه ومقتله صلوات الله عليه، ثم سبي النساء وحملهن للكوفة ثم إلى الشام، في ما يقرب من (29) صفحة. وأكثر منه ذكر البلاذري (ت 279 هـ) في كتابه أنساب الأشراف حيث ذكر قضية الحسين من خروجه من المدينة إلى مكة، ثم ما وقع على مسلم بن عقيل، ووصول الحسين لكربلاء وما جرى في المعركة ومقتل الأصحاب وبني هاشم ثم شهادة الإمام عليه السلام، وبعدها سبي النساء للكوفة والشام.. وقد استغرق ذلك من الكتاب نحو سبعين صفحة!

وفي المقابل فإن هذا النص عن الطبري لا يتجاوز ثلاث صفحات، وقد رقمنا فقراته بالأرقام، ونحن نلاحظ أن الفقرة الأكبر كانت في موضوع مقدمات مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة وما أعقبها من مجيء عبيد الله بن زياد.

(1) القرشي؛ الشيخ باقر شريف: حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام 1/ 281.

وأما ما يرتبط بمقتل الحسين عليه السلام وأصحابه فلم يتجاوز سبعة أسطر، وهذا عجيب! ومحل للتساؤل فإن عمارًا كان يريد من الإمام الباقر أن يحدثه بالتفصيل عن هذا الجانب ويشرحه بحيث يكون كأنه قد حضر الحادثة! ولم يكن مهما كثيرًا عنده مجريات الكوفة وما صنع ابن زياد! فكيف صار لهذه القسم الأكبر من الحديث بينما اقتصر في أصل الموضوع على أسطر قليلة؟

إن هذا يجعلنا أمام تساؤل بعد اطمئناننا إلى أن الحديث كان أكبر من هذا بكثير وأنه تم اقتطاعه واختزاله.. فهل هذا الاختزال والاقتطاع كان من الطبري؟ أو أن الكتاب قد لعبت به أيدي العابثين؟

إن مما يؤيد الأول هو أن من نقل عن الطبري من بعده، نقلوا النص مختصرًا جدًا[1] كما هو عند الطبري، فالجرجاني (ت499هـ) نقل نفس النص في كتابه الأمالي الخميسية، ومثله المزي (742هـ) في تهذيب الكمال، وابن حجر العسقلاني (852هـ) في الإصابة.. وغيرهم.

(1) وقد طرب لهذا النص الناقص غير واحد من المؤلفين، وزاد بعضهم في طنبور الطبري نغمة: أن هذا هو الصحيح وليس ما يقوله الرافضة عن مقتل الحسين؟ والحال أنه لم ينقل من المقتل شيء إلا بمقدار قوله: «فقاتل حتى قتل، قتله رجل من مذحج وحزَّ رأسه»، وقد ذكرنا في كتابنا: أنا الحسين بن علي، أن من وسائل تضييع السيرة الحسينية، تخفيف المقتل وجعله خالي الدسم تمامًا! حتى لا يؤثر في سامعيه بالتعاطف مع مأساة المظلوم، والبراءة من جرائم الظالم.

وللأسف فإننا لم نجد النص الكامل المفترض في مصدر آخر!

الملاحظة الثانية: أننا نستطيع أن نحدد من خلال سياق عبارات النص المذكور مورد الاقتطاع وهو الذي يبدأ بحسب ترتيبنا في الأعلى من بداية الفقرة (2) فإن قوله «قال: فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال».. ماذا يعني فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم كان إليه؟ إنها أشبه بالكلمات المتقاطعة ولا يستقيم لها معنى! وليس هذا بالموضع الوحيد الذي تتعثر فيه الكلمات، فهو لم يذكر مقتل مسلم بن عقيل، ولكنه ذكر رد فعل اخوة مسلم بقولهم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل!! وأمثال ذلك.

الملاحظة الثالثة: وقد ذكرها الشيخ القرشي رحمه الله «إنه جاء في هذه الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام حينما اجتمع بابن سعد طلب منه أحد هذه الأمور: أ ـ أن يسمحوا له بالرجوع إلى يثرب. ب ـ أن يذهب إلى يزيد. ج ـ أن يلحق بالثغور.

ومن المقطوع به عدم صحة الأمرين الأخيرين، فإن الإمام عليه السلام لو فرض أنه أدلى بهما لما قدم الجيش الأموي على قتاله وحربه، وقد تحدث عن افتعال ذلك عقبة بن سمعان وهو ممن صاحب الإمام من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق وظل ملازمًا له حتى قتل يقول:

«صحبت الحسين من المدينة إلى مكة، ومنها إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل، وقد سمعت جميع كلامه، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس، من أن يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسير إلى ثغر من الثغور، لا في المدينة، ولا في مكة، ولا في العراق، ولا في عسكره إلى حين قتل نعم سمعته يقول: اذهب إلى هذه الأرض العريضة حتى انظر ما يصير إليه الناس»[1]

وبالفعل فإننا نأسف أشد الأسف على أنه تم تضييع هذه الرواية وهذا المقتل الذي يفترض أنه يقدم لنا أصح وأصدق الروايات عن واقعة كربلاء، وأكثرها تفصيلًا، فضاعت كما ضاع كثير من العلم بواسطة سوء تحمل حامليه ورواته!

ولا نستغرب بعد ذلك كيف أنه تم اعتماد هذا النص المخفف في مقتل الإمام الحسين من قبل الكثير ممن تأخر عن الطبري في سياق تضييع السيرة الحسينية.[2]

الملاحظة الرابعة: إننا نجد عدداً من الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي ترتبط بواقعة كربلاء ونتعجب أنها لم ترد في النص المذكورة، مع أنها وثيقة الارتباط والصلة به..

(1) المصدر نفسه

(2) لتفصيل الأمر راجع كتابنا: أنا الحسين بن علي: أوراق من السيرة المغيبة عن الأمة.

فمنها: وداع أم سلمة للإمام الحسين عليه السلام، كما رواه أبو جعفر المشهدي بإسناده عن الباقر صلوات اللّه عليه قال: لمّا أراد الحسين صلوات اللّه عليه الخروج إلى العراق بعثت إليه أمّ سلمة رضي الله عنها وهي التي كانت ربّته، وكان أحبّ النّاس إليها وكانت أرقّ الناس عليه وكانت تربة الحسين عندها في قارورة دفعها إليها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا بنى أتريد أن تخرج؟ فقال لها: يا أمّه أريد أن أخرج إلى العراق! فقالت: إنّي أذكّرك اللّه تعالى أن تخرج إلى العراق، قال: ولم ذلك يا أمه؟ قالت: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتل ابني الحسين بالعراق وعندي يا بنيّ تربتك في قارورة مختومة دفعها إلىّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا أمّاه واللّه إنّي لمقتول، وإنّي لا أفرّ من القدر والمقدور والقضاء المحتوم، والأمر الواجب من اللّه تعالى.

فقالت: واعجباه، فأين تذهب وأنت مقتول؟ فقال: يا أمّه إن لم أذهب اليوم ذهبت غدًا، وإن لم أذهب غدًا لذهبت بعد غد، وما من الموت ـ واللّه يا أمّه ـ بدّ، وإنّي لأعرف اليوم والموضع الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها، كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك، قالت: قد رأيتها؟! قال: إن أحببت أن أريك مضجعي ومكاني ومكان أصحابي فعلت.

فقالت: قد شئتها فما زاد أن تكلّم بسم اللّه فخفضت له الأرض حتّى أراها مضجعه ومكانه، ومكان أصحابه، وأعطاها من تلك التربة، فخلطتها مع التربة التي كانت عندها، ثمّ خرج الحسين صلوات اللّه عليه وقد قال لها: إنّي مقتول يوم عاشوراء، فلمّا كانت تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي صلوات اللّه عليهما فيها، أتاها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أشعث باكيًا مغبرًا فقالت: يا رسول اللّه ما لي أراك باكيًا مغبرًا أشعث؟! فقال: دفنت ابني الحسين عليه السلام وأصحابه الساعة.

فانتبهت أمّ سلمة رضي الله عنها فصرخت بأعلى صوتها فقالت: وا ابناه، فاجتمع أهل المدينة وقالوا لها: ما الذي دهاك، فقالت: قتل ابني الحسين بن علي عليهما السلام، فقالوا لها وما علمك بذلك؟ قالت: أتاني في المنام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم باكيًا أشعث أغبر، فأخبرني أنّه دفن الحسين وأصحابه الساعة. فقالوا: أضغاث أحلام قالت: مكانكم فإنّ عندي تربة الحسين عليه السلام فأخرجت لهم القارورة فإذا هي دم عبيط.

ومنها وداع النساء الهاشميات له حين خروجه:

كما رواه في كامل الزيارات، عنه حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي عن سعد بن عبد اللّه بن أبي خلف، عن محمّد بن يحيى المعاذي، قال حدّثني الحسين بن موسى الاصمّ، عن عمرو عن جابر عن محمّد بن علي عليهما السلام قال لمّا همّ الحسين عليه السلام

بالشخوص من المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب، فاجتمعن للنياحة، حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكنّ اللّه أن تبدين هذا الأمر معصية للّه ولرسوله، فقالت له نساء بني عبد المطّلب، فلمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ وفاطمة ورقيّة وزينب، وأمّ كلثوم فننشدك اللّه جعلنا اللّه فداك من الموت، يا حبيب الأبرار من أهل القبور وأقبلت بعض عماته تبكي وتقول أشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بنوحك وهم يقولون:

فانّ قتيل الطفّ من آل هاشم
أذلّ رقابا من قريش فذلّت
حبيب رسول اللّه لم يك فاحشا
أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت.[1]

ومنها كتاب الإمام الحسين عليه السلام لبني هاشم، من كربلاء:

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام.[2]

(1) ابن قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات ص 195.
(2) المصدر نفسه ص 157.

مناسك حج النبي في رواية الإمام عن جابر الانصاري:

اشتهرت رواية جابر بن عبد الله الأنصاري، والتي رواها الإمام الباقر عنه ورواها عن الباقر ابنه الإمام الصادق عليهما السلام، ونقلت في مصادر مدرسة الخلفاء بشكل واسع[1] واعتبرت هذه الرواية أهم الروايات في صفة حج النبي، وهي بكل أسانيدها تنتهي إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

وبهذا يكون بهذه الرواية وما جاء فيها عن صفة حج النبي بواسطته لا غيره، ذا فضل على الأمة في أن يتوحد فيها أهم عبادة جماعية عامة للمسلمين، ولك أن تتصور لولا مثل هذا التوحيد كيف كان الحج؟ بحيث يطوف بعض مثلاً على اليسار وآخرون على اليمين، وبين من يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة ومن يعكس الأمر؟ ومن يفيض من عرفات ومن يفيض إليها وهكذا!

وسنذكر بعض الملاحظات بعد نقل هذه الرواية الطويلة ـ نسبيًا ـ والرواية الأخرى الشبيهة بها المروية عن الإمام الصادق عليه السلام، بعدها. وسنعتمد النص الذي ذكره ابن أبي شيبة في المصنف، ولا يختلف غيره عنه شيئًا مهمًّا:

(1) فقد نقلها ابن أبي شيبة في المصنف 3/ 334 ومسلم النيشابوري في الصحيح، ومسند ابن راهويه والدارمي وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم.

«عن جعفر، عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقال: مَنْ القوم؟ حتى انتهى إليّ، فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زري الأعلى، ثم نزع زري الأسفل، ثم وضع كفه بين ثديي، وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك يا بن أخي سل عما شئت، فسألته وهو أعمى، وجاء وقت الصلاة، فقام في نساجة ملتحفًا بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه على المشجب، فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال بيده فعقد تسعًا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكث تسع سنين لا يحج، ثم أذّن في الناس بالحج في العاشرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي واستذفري بثوب، وأحرمي»، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مدى بصري من بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا وعليه

ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد، «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلبيته وقال جابر: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾،[1] فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[3] ثم رجع إلى الركن، فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾،[4] ابدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل البيت ووحد الله وكبره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، نصر

(1) البقرة: 125
(2) الإخلاص: 1.
(3) الكافرون: 1.
(4) البقرة: 158.

عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك، قال مثل ذلك ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه إلى بطن الوادي، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة قال: «إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلل وليجعلها عمرة»، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله، لعامنا هذا أو لأبد أبد فشبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: «دخلت العمرة في الحج مرتين، لا بل لأبد أبد» وقدم علي من اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجد فاطمة ممن حَلَّ، ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: أبي أمرني بهذا، قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محرّشًا على فاطمة للذي صنعت، مستفتيًا لرسول الله فيما ذكرت عنه، قال: فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها فقال: «صدقتْ»، قال: «ما قلت حين فرضت الحج؟» قال: قلت: اللَّهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: «فإن معي الهدي فلا تحل»، قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة، قال: فحلَّ الناس كلهم، وقصّروا

إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس، فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد، فقتلته هذيل، وربا أهل الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه كله موضوع، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألّا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به

كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أن قد بلّغتَ وأديتَ ونصحت، وقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللَّهم اشهد، اللَّهم اشهد» ثلاث مرات، ثم أذن ثم أقام الظهر والعصر، ولم يصل بينهما شيئًا، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلًا حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس، السكينة»، كلما أتى جبلًا من الجبال أرخى لها قليلًا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئًا، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى طلع الفجر، وصلى حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلًا حسن الشعر أبيض وسيمًا، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرت ظعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده

على وجهه، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن محسر فحرك قليلًا، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر منها، وأشركه في هديه، وأمر عن كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوًا فشرب منه».[1]

وقد نقلت مصادر الإمامية صفة حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإمام الصادق عليه السلام، بما يتفق مع ما جاء في رواية جابر الأنصاري، ويتميز عليها ببعض الميزات، ونذكر أولًا الرواية عن الإمام ثم نشير إلى المشتركات وإلى الخصائص في هذه الرواية.

(1) ابن أبي شيبة: المصنف 3/ 334 وصحيح مسلم 2/ 886.

فقد روى[1] معاوية بن عمار الدهني في الخبر المعتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عليه ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2] فأمر المؤذنين ان يؤذنوا بأعلى أصواتهم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب فاجتمعوا فحج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كانوا تابعين ينتظرون ما يؤمرون به فيصنعونه أو يصنع شيئًا فيصنعونه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أربع بقين من ذي القعدة، فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس ثم اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلى فيه الظهر وعزم بالحج مفرِدًا وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول، فصف الناس له سماطين فلبى بالحج مفرِدًا وساق الهدي ستًّا وستين أو أربعًا وستين،[3] حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربعٍ من ذي الحجة فطاف بالبيت سبعة أشواط وصلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم عاد إلى الحجر فاستلمه وقد كان استلمه في أول

(1) الكليني: الكافي 4/ 245.

(2) الحج: 27

(3) يأتي فيه أن مجموع ما ضحى به النبي والإمام علي كان مئة، والترديد كان من جهة أن الإمام قد نحر ستًّا وثلاثين أو أربعًا وثلاثين وباقي المئة كان قد نحرها رسول الله صلى الله عليهما.

طوافه، ثم قال: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) فابدؤا بما بدأ الله به، وان المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1] ثم أتى الصفا فصعد عليه فاستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلًا، ثم انحدر إلى المروة فوقف عليها كما وقف على الصفا حتى فرغ من سعيه، ثم أتاه جبرئيل عليه السلام وهو على المروة فأمره ان يأمر الناس أن يُحلّوا إلا سائق الهدي فقال رجل: أنحِلُّ ولم نفرغ من مناسكنا؟ فقال: نعم قال: فلما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمروة بعد فراغه من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن هذا جبرئيل عليه السلام وأومأ بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هديًا ان يُحل ولو استقبلت من أمري مثل ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ولكني سقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يُحل حتى يبلغ الهدي محله» قال: قال له رجل من القوم: لنخرجن حجاجًا وشعورنا تقطر! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما إنك لن تؤمن بعدها أبدًا! فقال له: سراقة بن مالك بن جعشم

(1) البقرة: 158.

الكناني: يا رسول الله علّمْنا ديننا كأنما خلقنا اليوم فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل هو للأبد! إلى يوم القيامة، ثم شبك أصابعه بعضها إلى بعض، وقال: دخلتْ العمرة في الحج إلى يوم القيامة. وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام وهي قد أحلت فوجد ريحًا طيبة ووجد عليها ثيابًا مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت: أمرنا بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستفتيًا محرّشًا على فاطمة عليها السلام فقال: يا رسول الله أني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أمرت الناس بذلك وأنت يا علي بمَ أهللتَ؟ قال: قلت: يا رسول الله إهلالًا كإهلال النبي صلى الله عليه وآله وسلم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كنْ على احرامك مثلي وأنت شريكي في هديي. قال: ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بالبطحاء هو أصحابه ولم ينزل الدُّور، فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج وهو قول الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[1] فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مهلين

(1) آل عمران: 95.

بالحج حتى أتوا منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ﴾[1] يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم، فلما رأت قريش أن قبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم، حتى انتهى إلى نمرة وهي بطن عرنة بحيال الأراك فضرب قبته وضرب الناس أخبيتهم عندها، فلما زالت الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه فرسه وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جنبها فنحّاها ففعلوا مثل ذلك فقال: «أيها الناس أنه ليس موضع أخفاف ناقتي الموقف ولكن هذا كله موقف» وأومأ بيده إلى الموقف فتفرق الناس، وفعل مثل ذلك بمزدلفة فوقف حتى وقع

(1) البقرة: 199.

القرص قرص الشمس، ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى إذا انتهى إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين، ثم أقام حتى صلى فيها الفجر، وعجّل ضعفاء بني هاشم بالليل وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس، فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى مِنى فرمى جمرة العقبة، وكان الهدي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعًا وستين أو ستًّا وستين، وجاء علي عليه السلام بأربعٍ وثلاثين أو ستٍ وثلاثين، فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها ستًا وستين ونحر علي عليه السلام أربعًا وثلاثين بدنة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة ثم تطبخ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها وعلي عليه السلام وحسَيا من مرقها، ولم يعط الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها، وتصدق به، وحلق وزار البيت ورجع إلى مِنى فأقام بها حتى كان اليوم الثالث من أخير أيام التشريق، ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح، فقالت له عائشة: يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معًا وارجع بحجة!. فأقام بالأبطح وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم، فاهلّت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام وسعت بين الصفا والمروة، ثم

أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارتحل من يومه ولم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت، ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفل مكة من ذي طوى».

مشتركات ومختصات الروايتين:

1/ نذكّر من جديد بما سبق قوله من أن هاتين الروايتين هما الأساس في صفة حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والعجيب أنه مع أن آلاف المسلمين كانوا قد حجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن أيّا منهم لم يلتفت إلى توثيق وتسجيل مجريات هذه الحجة، لأجل الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم فيها، ويبقى هذا الأمر إلى حوالي سنة (75هـ) أي بعد نحو خمس وستين سنة من هذه الحجة، ليأتي باقر العلم النبوي وابنه الصادق لكي يصفا للمسلمين حج رسول الله ويعرفاهم كيفيته!

نعم قد نجد روايات مختلفة (وأحيانًا متخالفة) هنا وهناك في مصادر مدرسة الخلفاء، وهي لا تحكي كامل صفة حج النبي وإنما إشارات ومواقف من ذلك الحج، ونعتقد أنه لهذا السبب كانت الرواية الأولى للإمام الباقر عن جابر هي الشائعة والذائعة في مصادر مدرسة الخلفاء!

وهنا يتبين لنا مقدار خطأ القرار الذي اتخذته سلطة الخلافة

بالمنع من كتابة وتدوين ونشر حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لولا أن الإمام الباقر عليه السلام في ذلك اللقاء من جهة ولولا شجاعة جابر وعدم التزامه بقرار السلطة المانع من رواية وتدوين حديث النبي.. لكان المسلمون محرومين من صفة الحج النبوي هذه! ويبين من جهة أخرى فضل الإمام الباقر عليه السلام على حجاج بيت الله الحرام ومنسك الحج بحيث صار المسلمون يعرفون بحديثه حج نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

2/ الروايتان تشيران إلى أن العمرة (التمتع) داخلة في الحج إلى يوم القيامة، وأن ما سيأتي من اجتهاد البعض في النهي عنها هو على خلاف سُنَّة النبي، وأن هذا ليس حكمًا مؤقتًا بزمان أو أنه حكم ولائي محدود بظرفه وولاية الحاكم وإنما هو حكم إلهي غير قابل للنقض.

3/ تشير الروايتان إلى أن قريشًا كانت تتعامل مع مناسك الحج وبيت الله تعامل التجار في ما يملكونه كشركة خاصة، فهم الذين يقررون من أين يفيض القرشيون باعتبارهم ملاك هذه الشركة، ومن أين يفيض باقي الناس باعتبارهم (غرباء) فجاء الإسلام ليقول لهم إن هذا البيت ليس شركة خاصة وإنما هو

قد ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[1]، وهم فيه ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[2] وأن الإفاضة هي من عرفات حيث يفيض الناس لا من المشعر حيث تفيض قريش!

4/ نلحظ في الروايتين الحضور الواضح لأمير المؤمنين علي عليه السلام، في مقابل الحضور الباهت أو اللاحضور لغيره من الأصحاب، فهو حتى وإن كان ليس مع النبي إلا أن نسكه وإهلاله وعبادته كنسك وإهلال وعبادة النبي، وهو شريكه في هديه وهداه، وهذا التطابق حتى مع الغياب ليشير بوضوح للوحدة التي تشير إليها ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[3]، وفي المقابل تشير الرواية الثانية عن الإمام الصادق عليه السلام إلى اعتراض بعض الأصحاب على ما قاله النبي وعدم قناعتهم بتوجيهه في موضوع الاحلال لعمرة التمتع وأنه كيف يبيت الحجاج معرسين في الأراك مع زوجاتهم يتلذذون وهم لا زالوا في نسك؟ وشتان بين تطابق عملي الإمام والرسول حتى مع الغياب، وبين عدم القبول والاعتراض على النبي من بعض الأصحاب حتى مع الحضور!

(1) آل عمران: 96.
(2) الحج: 25.
(3) آل عمران: 61.

5/ في نفس الوقت الذي توجد فيه هذه المشتركات، فإن هناك خصائص للرواية عن الإمام الصادق تتضح بالتأمل البسيط فمنها: دقة التفاصيل بالزمان والمكان، فالنبي قد خرج لأربع بقين من ذي القعدة (يوم 26 / 11) ووصل في سلخ أربع من ذي الحجة (4/ 12)، وأحرم من المسجد الذي عند الشجرة. ولم يكن خروجه للحج بهذه الصورة من تلقاء نفسه ولا باعتبار ولايته وتدبيره وإنما نزل الوحي عليه وخاطبه ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[1] فأرسل المؤذنين يعلمون الناس بذلك.

وكذلك أمره المسلمين بالإحلال لمن لم يسق الهدي؛ فلم يكن لرأي رآه أو للتخفيف على المسلمين أو غير ذلك، وإنما هو ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2] فقد أخبر الناس بأنه نزل عليه الأمين جبرئيل وأخبره بذلك في تلك اللحظة!

وقد خلت نسخ مصادر مدرسة الخلفاء التي نقلت رواية الباقر عن جابر عن هذه التفاصيل.

كما نقل في هذه الرواية عن الباقر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خطب في المسلمين، وقال: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به كتاب الله»!

(1) الحج: 27.
(2) النجم: 4.

ونحن نعتقد أن هذا النحو هو مما تم تغييره في مصادر المدرسة الأخرى وإلا فإن المشهور عن جابر هو روايته لحديث الثقلين كما أخبر عنه رسول الله، بل وقد رواه الإمام الباقر عن جابر نفسه ومعه تعليق من الإمام عن جابر، قال أبو جعفر عليه السلام: «دعا رسول اللّه أصحابه بمنى فقال يا أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ثم قال: يا أيّها النّاس انّي تارك فيكم حرمات اللّه كتاب اللّه وعترتي والكعبة البيت الحرام، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أمّا كتاب اللّه فحرّفوا وأمّا الكعبة فهدموا وأمّا العترة فقتلوا»[1]

هل كان الإمام الباقر راويًا متعلمًا؟

أ/ يعتقد الإمامية ـ بما جاءهم من روايات الأئمة ـ أن الصورة المنقولة في هذه الرواية وفي غيرها، من لقاء الإمام الباقر عليه السلام مع جابر، والتي ظاهرها رواية الإمام عنه، وتعلمه وأخذه عنه سنة النبي ومنها صفة حج النبي، كل ذلك إنما هو على ظاهر الأمر، وإلا فليس في الواقع تعلم حقيقي، لأنهم يعتقدون أن الإمام الباقر هو أعلم من جابر وأعرف منه ومن غيره بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) (الصفار)؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات ص 434.

ويشيرون إلى أن جابرًا الذي نقل سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحفيده الباقر، وأخبره بأنه يبقر العلم بقرًا، لا بدَّ أن يكون أول من يفهم ماذا يعني أنه يبقر العلم؟ وقد مرَّ بنا حديث عن معنى (البقر) وهو الشق وكشف المغيبات واستخراج المكنونات، و(العلم) هنا هو مطلق العلم، فلم يقيد بعلم التفسير مثلًا أو الحديث أو الفقه، وإنما يحتوي كل هذه وغيرها بمقتضى إطلاق الكلمة، وإلا لكان الواجب التقييد بالقول أنه يبقر علم الفقه مثلًا أو علم الحديث.

نقول: أول من يعرف معنى هذه الكلمة، ويبقى يبحث عن ذلك الباقر كما مرَّ بنا في روايات سابقة إلى الحد الذي اتهمه بعضهم بالخرف لكثرة ما ذكر الباقر وتردد لقبه على لسانه!

فماذا يعني (الباقر) إذا تعلم من جابر، وأخذ عن ابن عمر كما زعموا، وتلمذ على فلان؟

ب/ يعتقد الإمامية أن جابرًا الانصاري والذي عرف بولائه الشديد لأهل البيت عليهم السلام طيلة ثمانية عقود من عمره[1] وروى فيهم وعنهم، هو ممن روى حديث اللوح عن فاطمة الزهراء عليها السلام

(1) لمعرفة شيء من ذلك يمكن مراجعة كتابنا: أصحاب النبي محمد، فصل جابر بن عبد الله الأنصاري.

وهو اللوح الذي ذكر فيه أسماء الأئمة الاثني عشر،[1] وكان في زمان الإمام السجّاد والباقر، ومقتضى ذلك إيمانه بإمامتهما، فكيف يأتي الباقر ليأخذ علمه من مأمومه؟ وقد يكون هذا المنطق غريبًا في نظر أتباع مدرسة الخلفاء، لكن قد قام عليه الدليل والبرهان عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ج/ لعلَّ القارئ يسأل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا طلب الإمام الباقر عليه السلام من جابر الأنصاري أن يخبره عن صفة حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يكفيه لو كان عالمًا بها أن يحدث بها وأن يخبر عنها من غير حاجة لسؤال جابر!

والجواب على ذلك: أنه لو فعل ذلك ـ وهو قادر على

(1) جاء نص الحديث في الكافي للكليني 1/ 527 وفي إثبات الوصية للمسعودي ص 271، بسنديهما إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال أبي (الباقر) لجابر بن عبد الله الأنصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابر: أي الأوقات أحببته! فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟ فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهنيتها بولادة الحسين ورأيت في يديها لوحًا أخضر، ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتابًا أبيض، شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك! قال جابر فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته، فقال له أبي: فهل لك يا جابر: أن تعرضه علي قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رَقّ (جلد)، فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ [أنا] عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفًا، فقال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا.. ثم نقل ما في اللوح بطوله وفيه أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام، وصفاتهم.

الإخبار ـ لكان هذا الحديث كآلاف الأحاديث التي قالها الإمام عليه السلام وأخبر عنها لكن أعرض عنها أتباع مدرسة الخلفاء ولم يأخذوا بها، في أبواب مختلفة من العقائد والأحكام، وقد أشرنا إلى نماذج منها في المواضيع السابقة.

إن الإمام يريد أن يوحد حج المسلمين جميعًا، ومعنى هذا أن لا يقصر النظر في حديثه على من يعتقدون إمامته، وإنما أن ينظر إلى القسم الأكبر من المسلمين وهم من لا يعتقدون الإمامة فيه. فلا بدَّ أن يكون هنا راويًا عن جابر (الصحابي) لكي يرى أولئك أن حديثه متصل برسول الله من خلال جابر الأنصاري!

ويشير إلى هذا المعنى من أن مجيء الإمام لجابر إنما هو من أجل أن يصدق الآخرون ما ينقل من حديث عن رسول الله حيث لا يعتقدون إمامته، ما ورد من رواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال «كان محمد بن علي يأتيه على الكرامة لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فجلس الباقر يحدثهم عن الله فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدًا قط أجرأ من ذا، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أهل المدينة: ما رأينا قط أحدًا أكذب من هذا يحدث عمّن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه».[1]

(1) الكليني: الكافي 1/ 470.

حوار واحتجاج مع الخوارج

الخوارج فئة ممن حارب الإمام عليًّا عليه السلام في النهروان، على أثر جهل قسم كبير منهم، واستغلال بعض المغامرين المنتفعين لهذا الجهل، الأمر الذي جعلهم - وقد كانوا في جيشه وصفه أول الأمر - في مواجهة مع أمير المؤمنين عليه السلام، مع اعترافهم بفقاهته وعدله وأنه أولى من غيره! وانتهى ذلك الجهل وهذا الاستغلال إلى قتالهم أمير المؤمنين عليه السلام بزعم أنه قد حكّم في دين الله![1] ومن يفعل ذلك يكن كافرًا أو على الأقل خاطئًا لا بدَّ له من التوبة!

ونذكر في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام خطواته المتعددة لإعادتهم للجادة، من الصبر عليهم والنقاش معهم وغير ذلك إلا أنهم قد ضَرّهم من غرّهم، وحين سئل عليه السلام: مَنْ غرَّهم؟ قال: «الشيطان وأنفسٌ أمَّارة بالسوء، غرَّتهم بالأماني، وزيَّنت لهم المعاصي، ونبَّأتهم أنَّهم ظاهرون»[2] وكان يُتوقع أن تنتهي هذه العقيدة

(1) ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ 2/ 714 « عبّر عن ذلك أحد الخارجين عليه وهو الخريت بن راشد، حين قال: «يا علي، والله لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني غدًا مفارق لك، وذلك بعد تحكيم الحكمين.
فقال له: ثكلتك أمك، إذن تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك!
خبرني لم تفعل ذلك؟ فقال: لأنك حكّمتَ وضعفت عن الحق، وركنت إلى القوم الذين ظلموا، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقمٌ، ولكم جميعًا مباين».

(2) المصدر نفسه 3/ 223.

والعقدة منهم مع شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، لكن استمر الاعوجاج فأصبحت فرقة قائمة وجماعة منحازة عن سائر المسلمين، عمود خيمتها تخطئة (وعند بعضهم تكفير) الإمام علي عليه السلام.

وكما كان الإمام علي عليه السلام يحاورهم ويناقشهم ويحاول هدايتهم، وجدنا ذلك أيضًا في أبنائه ففي الرواية: «أن عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول: لو أني علمت أن بين قطريها أحدًا تبلغني إليه المطايا يخصمني أن عليًّا قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه!

فقيل له: ولا ولده؟ فقال: أفي ولده عالم؟

فقيل له: هذا أول جهلك وهم يخلون من عالم؟! قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام. فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن على أبي جعفر عليه السلام، فقيل له: هذا عبد الله بن نافع! فقال: وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن أبي طرفي النهار؟

فقال له أبو بصير الكوفي: جعلت فداك إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحدًا تبلغه المطايا إليه يخصمه أن عليًّا عليه السلام قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه!

فقال له أبو جعفر: أتراه جاءني مناظرًا؟ قال: نعم، قال: يا غلام اخرج فحط رحله وقل له: إذا كان الغد فأتنا قال: فلما أصبح عبد الله بن نافع غدًا في صناديد أصحابه.

وبعث أبو جعفر عليه السلام إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم خرج إلى الناس في ثوبين ممغرين[1] وأقبل على الناس فقال: الحمد لله مُحيّث الحيث ومكيّف الكيف ومؤيّن الأين، الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض ـ إلى آخر الآية ـ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في علي بن أبي طالب عليه السلام فليقم وليتحدث قال: فقام الناس فسردوا تلك المناقب.

فقال عبد الله: أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء وإنما أحدث عليٌّ الكفر بعد تحكيمه الحكمين ـ حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارًا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

(1) قريبين للحمرة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ما تقول في هذا الحديث فقال: هو حقٌّ لا شك فيه ولكن أحدث الكفر بعد!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: ثكلتك أمك أخبرني عن الله عز وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟

قال ابن نافع: أعدْ عَليَّ!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن الله جل ذكره أحب عليَّ بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟

قال: إن قلتُ: لا، كفرتُ! فقال: قد علم!

قال الإمام: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فقم مخصومًا!

فقام وهو يقول: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته».[1]

أقول: لم نعثر على ترجمة للمذكور في هذه الرواية

(1) الكليني: الكافي 8/ 351.

(عبد الله بن نافع الأزرق) لا في المصادر السُّنيَّة ولا الشيعية. هذا بالرغم من أن الكثير من المصادر الشيعية والكتب قد أشارت إلى هذه المناظرة لا سيما وأنها منقولة عن الكافي.

فإن المعروف أن نافعًا بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري وهو من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس، وله معه أسئلة كثيرة بلغت مائة وثمان وثمانين مسألة في القرآن وتفسير آياته، وقد جمعها السيوطي في كتابه الاتقان، كما طبعت منفصلة، هو زعيم فرقة الأزارقة وهي من فرق الخوارج المتطرفة التي تكفّر الإمام أمير المؤمنين وتستبيح قتل المخالف ولو كان طفلًا أو امرأة ـ كما ذُكر عنهم ـ وقد قُتل في مواجهة مع الجيش الأموي قرب الأهواز سنة (65 هـ). وهذه المعطيات لا تنطبق على من جاء ذكره في الرواية المذكورة، إذ أن عمر الإمام الباقر عليه السلام زمان مقتل نافع هذا هو بحدود الثمان سنوات، بينما أجواء الرواية تشير إلى ما بعد شهادة الإمام السجّاد (سنة 95 هـ) إذ أنه يسأل: فمن عالمهم اليوم؟ قيل له محمد بن علي!

هل هو من أبنائه؟ ربما يكون كذلك ولكن لم نعثر على وجود ولد له بهذه المواصفات، بحيث يكون له أنصار، ويتحدى أن يكون أحد قادرًا على إقناعه ببراءة علي عليه السلام من الظلم في قتاله الخوارج!

بالطبع عدم عثورنا وعدم ذكرهم إيّاه لا يكون دليلاً على عدم وجوده، فكم من الشخصيات روي عنها روايات، لكن عندما تأتي للكتب الرجالية تجد تعبير (لم يذكروه).

على أن ذلك لا يضرّ في خصوص الروايات الاحتجاجية، فإن المدار فيها على قوة الدليل ووضوح البرهان، أكثر مما هو على شخصيات الرواية (من راوٍ وحاضر في الحادثة وما شابه).

رجال الإمام الباقر وتلاميذ مدرسته

يقسم الباحثون تلامذة الإمام الباقر عليه السلام إلى قسمين:

القسم الأول: هم طلاب العلم والفقهاء من أتباع مدرسة الخلفاء، فقد وجد هؤلاء في الإمام بحرًا موّاجًا بالمعرفة، وكان كلٌّ منهم يأخذ عنه بمقدار اعتقاده فيه، وبمقدار سعة إنائه، كما قال القرآن الكريم في مثال الطبيعة ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾،[1] ولا ريب أن هذا القسم لا يصل إلى مرتبة القسم الثاني حيث هناك الإيمان والاعتقاد بالإمامة والإنسجام التام والطاعة المطلقة، بينما هنا في أفضل الفروض الشعور بالاستفادة من معلومات لم يكن هؤلاء يعرفونها!

وسنبدأ بهذا القسم لخفة مؤونته ثم نعطف الحديث على القسم الأول وهو الغاية الأصلية من هذا البحث، وهو الذي يشير إلى باقرية الإمام محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، وكشفه

(1) الرعد: 17.

عن مخبئات العلوم. وفي هذا القسم يتبين أثر ما قام به الإمام الباقر عليه السلام من قصده جابرًا الأنصاري وزيارته له متكررًا، فإنه - بزعم هؤلاء الفقهاء - بهذا قد أوجد الاتصال بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون حديثه للنبي مسندًا. بينما حقيقة الأمر هو ما قاله كقاعدة عامة لمن طلب منه الإسناد «فقال: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عز وجل، وكل ما أحدثك بهذا الإسناد»[1]، وهو كذلك من نحو ما أراد أن يقنعهم بأن كلامه وحديثه إنما يخرج من خلال القرآن ومتطابقًا معه، فقد قال عليه السلام «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يا بن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عز وجل يقول: «لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[2] وقال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3].

(1) المفيد؛ محمد بن النعمان العكبري: الأمالي ص 74.
(2) النساء: 5.
(3) المائدة: 101.

1/ وقد بلغ عليه السلام موضعًا بينهم إلى حد أن سالم بن أبي حفصة[1] - وهو على غير منهاج أهل البيت - يرى أن الإمام الباقر عندما يسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يسأل عمّا بينه وبين النبي، وهذا يشير إلى أن ما كان ينقله عليه السلام لهم لا يعتريه شك أو شبهة حتى يحتاجوا إلى السؤال عن سنده، وهذا راجع إلى متون الأحاديث ومضامينها، وكذلك في شدة ثقتهم به عليه السلام، فعن سالم بن أبي حفصة قال: لما هلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قلت لأصحابي: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فأعزيه، فدخلت عليه فعزيته، ثم قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا والله لا يرى مثله أبدًا..»[2]

(1) سالم بن أبي حفصة العجلي (ت 137 هـ) اختلف رأي الإمامية ومدرسة الخلفاء فيه، ويعبر عن رأي الإمامية فيه السيد الخوئي في معجم رجال الحديث 9/ 19 بقوله - بعد استعراضه الروايات الواردة في شأنه «المتحصل مما ذكرنا أن الرجل كان منحرفًا وضالًا ومضلًا» ويعد عند الشيعة من البترية، قال الكشي: «والبترية هم أصحاب كثير النواء، والحسن بن صالح بن حي، وسالم بن أبي حفصة...» وقال العلامة الحلي: «لعنه الصادق عليه السلام وكذبه» أما في مدرسة الخلفاء فكثير منهم وثقه، ولعل ذلك لما كثرت عنه الأحاديث التي تحث على تولي أبي بكر وعمر، ومعاداة عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى! والعجب أنه يروي ذلك عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام! وأضاف إليه بعضهم أنه غالٍ في التشيع وهو غريب جدًا! فكيف يجتمع ذاك القول مع الغلو في التشيع؟ وجمعهما ابن حجر العسقلاني فقال: «شيعي غالي، صدوق في الحديث»!

(2) المفيد؛ محمد بن النعمان: الأمالي ص 354.

ولهذا فقد «روى الحكم بن عتيبة[1] عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي الطالبي، وروى عن أبي جعفر محمدُ بن عبد الرحمن بن يزيد النخعي... وحديث الحكم عن محمد بن علي الباقر عن أبيه كثير».[2] وكان في مجلسه مع الإمام كالتلميذ الصغير يتعلم منه كما «قال عبدُ الله بنُ عطاء: ما رأيتُ العلماء عند أحدٍ أصغرَ منهم عند محمد الباقر، لقد رأيتُ الحَكَمَ بن عُتيبة عنده كأنَّه يتعلَّم».[3]

وكما روى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن الإمام السجاد كثيرًا فقد روى عن ابنه الإمام الباقر عليه السلام كما يلحظ ذلك في ما نقله الطبراني «محمد بن مسلم بن شهاب، عن محمد بن علي بن الحسين، عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيختلجون عن الحوض، فأقول: ربي أصحابي،

(1) الحكم بن عتيبة الكندي (47 ت 115 هـ في الكوفة) عُدَّ من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، وقد وثقه رجاليو مدرسة الخلفاء، فقيل فيه كما في طبقات ابن سعد 8/ 451: «كان ثقة فقيهًا عالمًا عاليًا رفيعًا كثير الحديث»، وتشير بعض الروايات في مصادر الشيعة إلى كونه «من فقهاء العامة وكان أستاذ زرارة وحمران والطيار قبل أن يروا هذا الأمر» أي التشيع، وقد قال السيد الخوئي في كتابه معجم رجال الحديث 7/ 183: «لا شبهة في ذم الرجل وانحرافه عن أبي جعفر عليه السلام».

(2) النيشابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: معرفة علوم الحديث ص231.

(3) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 11/ 30.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[1] ولئن غمز في الحديث بعضُهم فهو لأجل محتواه، وما يهدم من نظرية عدالة الصحابة أجمعين! كما عليه الاتجاه العام في مدرسة الخلفاء. وأما رواية الإمام عن غيره من التابعين أو الأصحاب فهو للغاية التي ذكرناها في عنوان (الإمام الباقر وجابر الأنصاري).

2/ ولا يهم الإمامَ عليه السلام أكثر من أن يصل الهدى والسُّنَّة النبوية والعلم الصحيح إلى الناس، فمن كان يقبل منه باعتبار أنه معدن العلم الذي يبقره بقرًا كما هو حال شيعة أهل البيت، أخبره مباشرة وحدث من موقعه كإمام، ومن لا يقنع إلا بشاهد من القرآن يقول له: سلني أين هذا من القرآن ويأتي له بشاهد قرآني، ومن لا يقنع إلا بالرواية عن فلان (والإمام مستغن عن علمهم بعلم آبائه) فإنه يرويه عن فلان ممن لقيه.. المهم هو أن يقل الخطأ والتخليط في الأمة قدر الإمكان، فها هو يصحح ما رواه بعضهم في وضع الحجر الأسود، وأنه إنما وضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا عبد المطلب ولا غيره، فقد

(1) الطبراني؛ سليمان بن أحمد: مسند الشاميين 3/ 15.

روى ابن اسحق[1] قال: كنت جالسًا مع أبي جعفر محمد بن علي (الباقر) فمر بنا عبد الرحمن الأعرج، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فدعاه فجاءه فقال: يا أعرج ما هذا الذي تحدث به أن عبد المطلب هو الذي وضع حجر الركن في موضعه؟

فقال: أصلحك الله حدثني من سمع عمر ابن عبد العزيز يحدث أنه حدث عن حسان بن ثابت يقول: حضرت بنيان الكعبة، فكأني أنظر إلى عبد المطلب جالسًا على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن، فكان هو الذي وضعه بيديه!

فقال: انفذ راشدًا، ثم أقبل علي أبو جعفر فقال: إن هذا الشيء ما سمعنا به قط، وما وضعه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده، اختلفت فيه قريش فقالوا: أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: هذا الأمين، فحكموه!

فأمر بثوب فبسط، ثم أخذ الركن بيديه، فوضعه على الثوب،

(1) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني ابن إسحاق (ت 151 هـ)، عُدّ في أصحاب الباقر عليه السلام (بالمعنى العام للصحبة)، وصفه الزركلي بأنه: من أقدم مؤرخي العرب، له: (السيرة النبوية ـ ط) ومن حفاظ الحديث. سكن بغداد فمات فيها. قيل إنه اتصل بالمنصور العباسي، وألّف له كتابًا في التاريخ منذ خلق آدم إلى يومه، واختصره في كتاب المغازي.

ثم قال: لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية، وارفعوا جميعًا، فرفعوا جميعًا، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول ﷺ فوضعه في موضعه بيده ثم بنى عليه».[1]

وهكذا ما رواه أيضًا عنه في سيرة النبي ومسائل تاريخية وشرعية، فقد أخبر «محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر، والزهري، عن يزيد بن هرمز، قال: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله، عن سهم ذي القربى لمن هو؟ وعن قتل الولدان، ويذكر في كتابه أن العالم صاحب موسى قد قتل الغلام، وعن النساء هل كن يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ قال يزيد: فأنا كتبت لابن عباس كتابه، فكتب إليه كتبت تسألني عن سهم ذي القربى لمن هو؟ هو لنا أهل البيت، وقد كان عمر بن الخطاب دعانا إلى أن ينكح منه أيّمَنا، ويخدم منه عائلنا، ويقضي منه عن غارمنا، فأبينا إلا أن يسلمه إلينا، وأبى ذلك فتركناه. وكتبت تسألني عن قتل الولدان وتذكر أن العالم صاحب موسى قتل الغلام، ولو كنت تعلم من الولدان ما يعلم ذلك العالم قتلت، ولكنك لا تعلم فاجتنبهم، فإن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلهم.

(1) ابن يسار ؛ محمد بن إسحاق: سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي ص108.

وكتبت تسألني عن النساء هل كن يحضرن الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ فقد كن يحضرن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما أن يضرب لهن بسهم فلا، قد كان يرضخ لهن».[1]

ولم يقتصر الأمر على محمد بن إسحاق في الاستعلام عن سيرة النبي من الإمام الباقر عليه السلام فهذا محمد بن عمر الواقدي،[2] الكاتب في غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرته، يروي أيضًا عن الإمام عليه السلام «فقد أخرج ابن سعد عن الواقدي عن أبي جعفر الباقر، قال نزل الملك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان. ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة. وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي».

3/ وكان بعضهم يعترف بأن مجلسه مع الإمام عليه السلام مختلف عن مجلسه مع غيره حتى من كبار أصحاب رسول الله، وهذا انطباع قتادة بن دعامة البصري،[3] كما في الرواية عن أبي

(1) التميمي؛ أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى: مسند أبي يعلى 4/ 263.

(2) بالطبع لا بدَّ أن يكون بالواسطة فإن الواقدي لم يدرك الإمام الباقر عليه السلام إذ ولادة الواقدي كانت في سنة 130 هـ بعد شهادة الإمام الباقر التي كانت في 114 هـ. وسنده فيه هو ما ذكره ابن سعد في الطبقات: 1/ 164: «أخبرنا محمد بن عمر بن واقد قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر قال: نزل الملك على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي».

(3) قتادة بن دعامة السدوسي (61 هـ ـ 118 هـ) عالم في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، محدث، =

حمزة الثمالي قال: كنت جالسًا في مسجد الرسول ﷺ إذ أقبل رجل فسلم فقال: من أنت يا عبد الله؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام؟ فقلت: نعم فما حاجتك إليه؟

قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته!

قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال: نعم! فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل؟

فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تُطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السلام فأخبرني!

فما انقطع كلامي معه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان[1] وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريبًا منه، قال أبو حمزة: فجلست

= مفسر، حافظ، كان ضريرًا. وكان يقول: «ما قلت لمحدث قط أعد عليَّ، وما سمعت أذناي قط شيئًا إلا وعاه قلبي». قال أحمد بن حنبل: «كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئًا إلا حفظه».

(1) ينبغي أن نلاحظ هنا أن أهل خراسان (وغيرهم) قد احتفوا بالإمام وهو في المسجد النبوي، وفي حديث آخر نقلناه سابقا، عبر عنه هشام بأنه المفتون به أهل العراق! وهذان يكشفان عن مدى انتشار سمعة الإمام في الأقطار! كما نلاحظ أيضًا أن قتادة جاء يسأل عن أربعين مسألة! وفي الرواية احتجاج الثمالي عليه بكلمة واحدة وهي أنك إن كنت تعرف الحق والباطل فلماذا جئت تسأله إذن؟

حيث أسمع الكلام وحوله عالمٌ من الناس فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفتَ إلى الرجل فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم!

فقال: له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنّ اللّه جلّ وعزّ خلق خلقًا من خلقه فجعلهم حججًا على خلقه، فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في عمله اصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه!

قال: فسكت قتادة طويلًا ثمّ قال: أصلحك اللّه واللّه لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك!

قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (*) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[1] فأنت ثَمّ! ونحن أولئك.

فقال له قتادة: صدقت واللّه جعلني اللّه فداك واللّه ما هي بيوت حجارة ولا طين قال: قتادة: فأخبرني عن الجبن.

(1) النور: 36 ـ 37.

قال: فتبسّم أبو جعفر عليه السلام ثمّ قال: رجعت مسائلك إلى هذا؟ قال: ضلّت عليّ!..»[1] واستمر يسأل والإمام يجيب.

وهكذا في موضع آخر عندما دخل عليه.. وسأله الإمام عما إذا كان يفسر القرآن بعلم أو جهل؟ ثم سأله عن تفسير آية فلم يستطع أن يجيب على إشكال الإمام فيها.[2]

4/ وإذا كان البعض من فقهاء المدرسة الأخرى يعترف بأنه مستطعم على مائدة الإمام وفي مقام السؤال، فإن البعض الآخر يأتي بأسئلة امتحانية، يتوهم فيها أنه سيعجز الإمام عليه السلام! مثل طاووس اليماني؛ فيضطر الإمام إلى تصحيح السؤال أولًا! والإدلاء

(1) الكليني: الكافي 6/ 257.

(2) المصدر نفسه 8/ 335 «.. أخبرني عن قول الله تعالى في سبأ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[سبأ: 18].. فقال قتادة: مَن خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هَذَا البيت كان آمنًا حتى يرجع إلى أهله. فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله ـ يا قتادة ـ هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيُقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويُضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللَّهم نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة.. إن كنت إنما فسَّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكتَ وأهلكت، وإن كنتَ أخذته من الرجال فقد هلكتَ وأهلكت، ويحك يا قتادة.. ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفًا بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال الله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[إبراهيم: 37]، ولم يعين البيت فقيل: إليه.. ونحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي مَن هوانا قلبه قُبِلت حَجَّته وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان ذلك كان آمنًا من عذاب جهنم يوم القيامة. قال قتادة: لا جَرَم والله لا أُفسرها إلا هكذا. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة.. إنما يعرف القرآن من خُوطب به».

بالجواب ثانيًا، فقد أقبل طاووس[1] على الإمام وكان في الحرم وقال له: «أتأذن لي في السؤال؟ فقال الإمام: قد أذنت لك فسل عما تريد! فقال طاووس: أخبرني متى هلك ثلث الناس؟ قال الإمام: لعلك وهمت يا شيخ وأردت أن تقول ربع الناس، فقال طاووس: نعم لقد أردت ذلك يا بن رسول اللّه!

فقال الإمام: لقد هلك ربع الناس يوم قتل قابيلُ هابيلَ، ذلك أنه لم يكن على وجه الأرض غير آدم وحواء وقابيل وهابيل، فهلك ربعهم بموت هابيل.

فقال طاووس: فأيّهما كان أبًا للناس القاتل أو المقتول؟ فقال الإمام: لا هذا ولا ذاك، بل شيت بن آدم. فقال طاووس: فلم سمي آدم؟ قال الإمام: لأن طينته رفعت من أديم الأرض السفلي!.

فقال طاووس لم سميت زوجته حواء؟ فقال الإمام: لأنها خلقت من ضلع حي.

قال طاووس: فلم سمي إبليس بهذا الاسم؟ قال الإمام: لأنه أبلس من رحمة اللّه عزّ وجلّ فلا يرجوها.

(1) هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني، اليماني (ت 106 هـ بمكة) من رواة الستة، وثّقه ابن معين وأبو زرعة والعجلي، وذكره ابن حِبّان في الثقاة.. وقال: كان من عباد أهل اليمن وفقهائهم.

قال طاووس: فلم سمي الجِنُّ جِنًّا؟ قال الإمام: لأنهم استجنوا فلم يروا..»[1] إلى آخر أسئلته وأجوبة الإمام.

ومن هذا القبيل كان «عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ليمتحنه بالسؤال، فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله عز اسمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ﴾[2] ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: «كانت السماء رتقًا لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقًا لا تخرج النبات «فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضًا. ومضى ثم عاد إليه فقال له: خبرني ـ جعلت فداك ـ عن قوله جل ذكره: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[3] ما غضب الله؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر».[4]

5/ وإذا صح الخبر المنقول عن ثوير بن أبي فاختة،[5] فإنه ليشير

(1) الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج 2/ 65. يعني اختفوا فلم يشاهَدوا.

(2) الأنبياء: 30.

(3) طه: 81.

(4) نقله الشيخ المفيد في الإرشاد 2/ 165 وأورد آخره الكليني في الكافي 1/ 110.

(5) بن عقيل؛ السيد محمد: العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ص 59: ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة مولى أم هاني وقيل مولى زوجها جعدة، جاء في (تهذيب التهذيب) ما حاصله: كذبه قوم وضعفه آخرون ووهنه وتركه غيرهم. وقال يونس عن أبي إسحاق: كان رافضيًّا. وقال العجلي، هو وأبوه لا بأس بهما. وفي موضع آخر: ثوير يكتب حديثه وهو ضعيف. وقال الحاكم في (المستدرك) لم ينقم عليه إلا التشيع.
وفي كتبنا الرجالية عد من أصحاب الإمام علي بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام.

إلى نظرة فقهاء مدرسة الخلفاء للإمام الباقر عليه السلام وعظمة موقعه عندهم، وأنه محل لتوجيه الأسئلة إليه مهما صعبت مضمونًا وكثرت عددًا، فعنه أنه قال: «خرجت حاجًّا، فصحبني عَمرو بن ذَرٍ[1] (القاص)، وابن قيس الماصر،[2] والصَّلْت بن بَهْرَام،[3] وكانوا إذا نزلوا منزلاً قالوا: أنظر الآن فقد حرّرنا أربعة آلاف مسألة، نسأل أبا جعفر عنها، عن ثلاثين كلّ يوم[4]، وقد قلّدناك ذلك. قال ثوير: فغمّني ذلك حتى إذا دخلنا المدينة فافترقنا، فنزلت أنا على أبي جعفر عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك، ابن ذر، وابن قيس الماصر، والصلت، صحبوني، وكنت أسمعهم يقولون: قد حرّرنا أربعة آلاف مسألة، نسأل أبا جعفر عليه السلام عنها، فغمّني ذلك. فقال أبو

(1) ابن سعد؛ محمد: الطبقات الكبير 8/ 482: «عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني أحد بني مرهبة، ويكنى أبا ذر. وكان قاصا.
قال محمد بن سعد، قال محمد بن عبد الله الأسدي: توفي عمر بن ذر سنة ثلاث وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر، وكان مرجيا فمات فلم يشهده سفيان الثوري ولا الحسن بن صالح، وكان ثقة إن شاء الله كثير الحديث».

(2) المصدر نفسه 8/ 458: «عمرو بن قيس الماصر مولى لكندة، وكان يتكلم في الإرجاء وغيره». هم فيه فريقان بين من ضعفه وبين من قواه.

(3) المصدر نفسه 8/ 473: «الصلت بن بهرام من بنى تيم الله بن ثعلبة، وكان ثقة» قال فيه أبو حاتم: «هو صدوق، ليس له عيب إلا الإرجاء».

(4) ربما يكون العدد المناسب هو أربعمائة مسألة لا أربعة آلاف.. فمن الطبيعي أن يبقى الحجاج في مكة أو المدينة أسبوعين أو نحوهما أما إذا كان ثلاثون مسألة لكل يوم وهي أربعة آلاف فهذا يعني بقاؤهم أكثر من مئة يوم!

جعفر عليه السلام: ما يغمّك من ذلك، فإذا جاؤوا فأذن لهم، فلما كان من غد دخل مولى لأبي جعفر عليه السلام فقال: جعلت فداك بالباب ابن ذر ومعه قوم، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثوير، قم فأذن لهم، فقمت فأدخلتهم، فلما دخلوا سلّموا وقعدوا، ولم يتكلّموا، فلما طال ذلك، أقبل أبو جعفر عليه السلام يستنبئهم الأحاديث وأقبلوا لا يتكلّمون. فلما رأى ذلك أبو جعفر عليه السلام، قال لجارية له يقال لها سَرْحَة: هاتي الخوان، فلما جاءت به فوضعته، فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله الذي جعل لكلّ شيء حدًّا ينتهي إليه، حتى أنّ لهذا الخوان حدًّا ينتهي إليه، فقال ابن ذر: وما حدّه؟ قال: إذا وضع ذكر الله وإذا رفع حمد الله. قال: ثم أكلوا، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: اسقيني، فجاءته بكوزٍ من أُدَم فلما صار في يده، قال: الحمد لله الذي جعل لكلّ شيءٍ حدًّا ينتهي إليه حتى أنّ لهذا الكوز حدًّا ينتهي إليه، فقال ابن ذر: وما حدّه؟ قال: يُذكر اسم الله عليه إذا شرب ويحمد لله إذا فرغ، ولا يشرب من عند عروته ولا من كسر إن كان فيه. قال: فلما فرغوا أقبل عليهم يستفتيهم الأحاديث فلا يتكلّمون، فلما رأى ذلك أبو جعفر عليه السلام، قال: يا بن ذر، ألا تحدّثنا ببعض ما سقط إليكم من حديثنا؟ قال: بلى يا بن رسول الله، قال: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وأهل

بيتي إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا. فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بن ذر، فإذا لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ما خَلَفْتَنِي في الثقلين فماذا تقول له؟ قال: فبكى ابن ذر حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته، ثم قال: أما الأكبر فمزّقناه، وأمّا الأصغر فقتلناه. فقال أبو جعفر عليه السلام: إذن تَصْدُقه يا بن ذر، لا والله لا تزول قدم يوم القيامة حتى يسأله عن ثلاث: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت. قال: فقاموا وخرجوا، فقال أبو جعفر عليه السلام لمولى له: اتبعهم فانظر ما يقولون، قال: فتبعهم ثم رجع، فقال: جعلت فداك سمعتهم يقولون لابن ذر: على هذا خرجنا معك؟ فقال: ويلكم ما أقول، إنّ رجلًا يزعم أنّ الله يسألني عن ولايته، وكيف أسأل رجلًا يعلم حدّ الخوان وحدّ الكُوز».[1]

وقد مرَّ بنا فيما سبق من الصفحات أن الذين رووا عنه من غير أتباع مدرسة أهل البيت، كثير، فقد روى عنه محمد بن شهاب الزهري وعمرو بن دينار وأبو إسحاق الهمداني، ووهب بن منبه، وواصل، وهاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهشام بن عروة بن الزبير، وأسلم، وإبراهيم بن أدهم

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 485.

واسحاق بن راشد وإسحاق بن يسار، وإياس بن سلمة بن الأكوع، والحكم بن عتيبة، والنعمان بن ثابت أبو حنيفة وحبيب بن قيس بن دينار، وداود بن دينار بن عذافر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي، وسفيان بن عيينة وشريك بن عبد الله بن أبي نمر، ومحمد بن إسحاق، ومنصور بن المعتمر، والأوزاعي، وأبو إسحاق السبيعي، وليث بن أبي سليم وحجاج بن أرطاة والأعمش، ومخول بن راشد، والقاسم بن الفضل الحداني وحرب بن سريج، ومحمد بن المنكدر.

أما القسم الثاني ممن روى عنه فهم: رجاله وتلامذة منهجه

وهم المؤمنون المعتقدون بإمامته، والناشرون لعلمه فيما بعد، وسنلاحظ عددًا من الملاحظات قبل أن نذكر بعض نماذجهم:

الأولى: أن بعض هؤلاء هم أنفسهم سيكونون عمدة أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهم الذين سيعتمد عليهم اعتمادًا كبيرًا، ويحيل إليهم من يستفتي، ويرشد لهم من يطلب منهاج آل محمد. بل من خلال هؤلاء ـ في الغالب ـ حصلت تلك النهضة العظيمة في زمان الإمام الصادق. وبهذا يكون تدريس الإمام الباقر، وتربيته لهذه الكوكبة قد أثر تأثيرًا مباشرًا وبهم أوصى الإمام الباقر ابنه الصادق عليهما السلام. وقد اعتز الإمام الصادق عليه السلام

بهؤلاء وأشاد بهم، وبأنه لولاهم لضاعت أحاديث أبيه الباقر.[1] وأنّهم أوتاد الأرض وأعلام الدّين وكانوا زينا أحياء وأمواتا، وأنهم القوّامون بالصدق والسابقون السابقون، السابقون إلى الأئمة في الدّنيا والسابقون إليهم في الآخرة، وهم حفّاظ الدّين وامناء أبيه على حلال اللّه وحرامه، ولولاهم لانقطعت آثار النبوّة واندرست أعلام الدّين.

وضمن هذا الإطار فقد عدّ شيخ الطائفة الطوسي ضمن عنوان أصحاب الإجماع ستة منهم؛ أنهم أصحاب الباقر والصادق.

وبطبيعة الحال كان هناك من هذا القسم من هو في الدرجة الثانية والثالثة.

الثانية: أن بعض هؤلاء قد أخذوا من العلم عن الإمام الباقر ثم عن ابنه الصادق عليهما السلام ما يحار العقل فيه، ففيهم مثلًا أبان بن

(1) المصدر نفسه 1/ 398: من ذلك ما جاء عن جميل بن دراج قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول بشر المخبتين بالجنة بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير بن ليث البختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست"

وفيه أيضًا 1/ 348عن سليمان بن خالد الأقطع، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أجد أحدًا أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلا زرارة وأبو بصير، ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة «.

تغلب البكري (ت 141هـ)[1] الذي أمره الإمام الباقر أن يجلس في مسجد النبي ﷺ في المدينة وأن يحدث الناس ويفتيهم، وهذا منصب يشابه منصب المرجعية العامة في هذا الزمان، ويعلل الإمام ذلك بأنه يحب أن يرى الناس من هو مثله في شيعة أهل البيت. وفيهم محمد بن مسلم الثقفي الطائفي (ت 150 هـ) الذي نقل أنه حفظ عن الباقر نحو ثلاثين ألف حديث! مع أنه كان في أيام الإمام الباقر في عز الشباب، وتوفي الإمام وعمر محمد هذا نحو 36 سنة، وفيهم مثل جابر بن يزيد الجعفي الذي قيل أنه حفظ عن إمامه الباقر عليه السلام نحو سبعين ألف حديث! وهكذا زرارة بن أعين الشيباني وإخوته حيث شكلوا أسرة علمية عديمة النظير بما رووه عن الأئمة عليهم السلام. وسيأتي شيء من ترجمة هؤلاء في الصفحات القادمة.

هذه الأعداد والحجم العلمي الضخم يدعو إلى التساؤل ومحاولة الفهم وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

الثالثة: أن هؤلاء لما كان الاعتماد عليهم في التعليم والمناظرة ونشر الأحكام، فقد كان لهم تخصصات متعددة برزوا فيها وفاقوا فيها أقرانهم من نفس المذهب، وأوضح من ذلك بالنسبة لسائر

(1) قد ذكرنا شيئًا من ترجمته في كتاب سيد العابدين فراجع.

المذاهب، فكانوا بمثابة رأس الرمح الذهبي في المناظرة والنقاش والرد، وقد وصلوا إلى درجة أن الإمام يباهي بهم ويعتبر أن من يغلب فلانًا منهم فقد غلب الإمام نفسه! وهذه مرتبة ـ لعمر الله ـ عظيمة. وبالرغم من أننا لا نجد هذه المناظرات في أيام الإمام الباقر وإنما كانت في أيام ابنه الصادق عليهما السلام، إلا إنه لا شك أن التكوين والتأسيس والتربية لهؤلاء المناظرين كان باقريًّا. ومن ذلك التخصص ما نستفيده من رواية هشام بن سالم، حيث يقول: «كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه فورد رجل من أهل الشام فاستأذن بالجلوس فأذن له، فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله بالجلوس، ثم قال له: ما حاجتك أيها الرجل؟

قال: بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ماذا؟ قال: في القرآن!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران بن أعين دونك الرجل! فقال الرجل: إنما أريدك أنت لا حمران.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر وملّ وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيته يا شامي؟ قال: رأيته حاذقًا ما سألته عن شيء إلا أجابني.

ثم قال الشامي: أريد أن أناظرك في العربية، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان بن تغلب ناظِرْه، فناظره حتى غلبه.

فقال الشامي: أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة ناظره، فناظر حتى غلبه!

فقال الشامي: أريد أن أناظرك في الكلام، فقال الإمام عليه السلام: يا مؤمن الطاق ناظره، فناظره فغلبه.

ثم قال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة، فقال الإمام عليه السلام للطيار: كلمه فيها، فكلمه فغلبه.

ثم قال: أريد أن أكلمك في التوحيد، فنادى الإمام عليه السلام: يا هشام بن سالم كلّمه، فكلمه فغلبه.

ثم قال: أريد أن أتكلم في الإمامة، فقال الإمام عليه السلام لهشام بن الحكم: كلمه، فغلبه أيضًا، فحار الرجل وسكت.

وأخذ الإمام (عليه السلام) يضحك، فقال الشامي له: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟ فقال الإمام عليه السلام: هو ذلك».[1]

الرابعة: نلاحظ أن قسمًا مهمًّا من الأصحاب الذين انتشر عنهم

(1) الطوسي: رجال الكشي 2/ 558.

العلم بشكل واسع، كانوا قد أخذوه في الأصل عن الإمام الباقر وبقي بعضهم لفترات طويلة مع الإمام، وحين اقترب من الإمام أجله أوصى بهم ابنه الصادق عليه السلام فقال كما روي عنه: «يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرًا. قلت جعلت فداك والله لأدعنّهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدًا».[1] فقد مرَّ بنا قبل قليل أن محمد بن مسلم الثقفي روى عن الباقر ثلاثين ألف حديث، وجابر بن يزيد سبعين ألفًا.

وقد يسأل بعضٌ بلسان الاندهاش والاستغراب أنه كيف يمكن لشخص أن يحفظ سبعين ألف حديث؟ وقد يؤدي هذا الاندهاش إلى تكذيب الخبر، وعدم الاقتناع بمضمونه! ويمكن لنا أن نقرب الأمر بعدة طرق:

1/ أن اعتماد الناس في تلك الفترات كان على الحافظة والذاكرة أكثر من اعتمادهم على الكتابة والتدوين، ولذلك تجد أن أكثر العلم كان محفوظًا في الصدور، فترى ما قبل الإسلام كان كل التراث الأدبي من شعر ونثر حكمي وغيره يتناقل من خلال الحفظ والذاكرة ولم يكن هناك قرّاء أو كتّاب. وحتى بعد مجيء الإسلام فإن المدار كان على حفظ القرآن وحفظ

(1) الكليني: الكافي 1/ 306.

الأحاديث النبوية، وخصوصًا مع الموقف الرسمي للخلافة القاضي بمنع الكتابة والتدوين.

2/ إن هؤلاء الذين يذكرون بحفظ هذه الأحاديث كانوا نخبة النخب، وكانوا يعرفون قيمة العلم وما يحفظونه وبالتالي فإن اهتمامهم بحفظه كان يفوق اهتمام غيرهم، وكانوا يعتبرونه المهمة الأكبر في حياتهم.

3/ إننا نعتقد أن هذه الأعداد ليست كبيرة إلى حد نفيها والتشكيك فيها لا بمقاييس ذلك الزمان ولا هذا الزمان. أما بمقاييس ذلك الزمان فإنهم يذكرون محدثين آخرين ممن تجاوز حفظهم المئة ألف[1] حديث، فحفظ محمد بن مسلم الثقفي ثلاثين أو جابر الجعفي سبعين ألفًا ليس عددًا يدعو إلى رده أو تكذيبه.

(1) السيوطي؛ جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي 1/ 42: قال أبو بكر محمد بن عمر الرازي الحافظ: كان أبو زُرعة يحفظ سبعمائة ألف حديث، وكان يحفظ مائة وأربعين ألفا في التفسير والقراءات.
وقال الحاكم: وسمعت أبا بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن سعيد (ابن عقدة) يقول: أحفظ لأهل البيت ثلاثمائة ألف حديث.
وسمعت أبا بكر المزني يقول: سمعت ابن خزيمة يقول: سمعت علي بن خشرم يقول: كان إسحاق بن راهويه يملي سبعين ألف حديث حفظا» ولسنا في صدد تأكيد ما قيل آنفًا ولكن لنشير إلى أنهم يتحدثون في حفظ الحديث عن مثل هذه الأعداد.

وأما بمقاييس هذه الأزمنة فلو أن إنسانًا اعتبر كل معلومة تعلمها وحفظها، حديثًا من الأحاديث سيتجاوز عدد تلك المعلومات السبعين ألفًا.. تصور لو أن شخصًا في الدراسة الأكاديمية جلس وبدأ يحسب معلوماته التي تعلمها في الرياضيات والعلوم والفيزياء والكيمياء والتاريخ واللغة العربية، وفي حالة الدراسة الدينية في الفقه والأصول وتفسير القرآن وعلومه وشرح أقوال الأئمة والرجال.. وحول كل معلومة إلى سطر أو أكثر واعتبر ذلك حديثًا فإن مجموع معلومات كل منهما سيكون عشرات الآلاف!

4/ بالرغم من أنه لم تبق كتب لمحمد بن مسلم وجابر الجعفي، إلا أننا نلاحظ أن كلّا منهما قد دون قسمًا مما حفظ من الأحاديث عن الإمام الباقر عليه السلام، وإن كان لم يصل لنا. ويشير إلى ذلك ما ذكروه من أنه كان لجابر الجعفي عدد من الكتب ولمحمد بن مسلم كتابًا، سمي بالأربعمائة مسألة في الحلال والحرام.[1] ولا ريب أن هذا يسهم في حفظ وبقاء تلك الأحاديث.

سنتعرض هنا إلى ذكر بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، حيث لا

(1) النجاشي؛ أحمد بن علي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ص 324.

يستوعب هذا الكتاب ترجمة كثير منهم، فضلًا عن جميعهم الذين ذكرنا قبل هذا أن عددهم هو أربعمائة واثنان وثمانون شخصا (482) كما جاء في كتاب المرحوم القرشي، وأما في رأي صاحب مسند الإمام الباقر فهم ستمائة واثنان وخمسون (652) راويًا..

محمد بن مسلم الثقفي الطائفي (ت 150)

كانت ولادته في سنة 80 للهجرة ووفاته سنة 150 هـ، وعمره بذلك يكون سبعين سنة، لكن ملئت علمًا وفضائل، ففاق بها أعاظم علماء أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكانت إقامته الدائمة في الكوفة كعَلَم من أعلام الدين كما وصفه صادق آل محمد، لكن قبلها أقام في المدينة المنورة مدة أربع سنوات كان يدخل فيها على أبي جعفر الباقر باستمرار، وما شجر في ذهنه شيء أو خطر سؤال إلا وسأل عنه الإمام عليه السلام حتى سأله عن ثلاثين ألف حديث حفظها ووعاها.

واختص بالحضور عند الإمام حتى أنه أطلعه على كتاب علي عليه السلام؛[1] وقد سبق الحديث عن الكتاب، كما خصه الإمام

(1) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام صَحِيفَةَ اَلْفَرَائِضِ، اَلَّتِي هِيَ إِمْلَاءُ رَسُولِ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله وَخَطُّ عَلِيٍّ عليه السلام، بِيَدِهِ فَقَرَأْتُ فِيهَا اِمْرَأَةٌ مَاتَتْ وَتَرَكَتْ زَوْجَهَا وَأَبَوَيْهَا فَلِلزَّوْجِ اَلنِّصْفُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ وَلِلْأُمِّ اَلثُّلُثُ.

بمحبته حتى أنه عندما مرض، تفقد الإمام حاله وأرسل إليه الدواء حتى برئ وشفي[1] بل وكان يداريه في أمر غربته وما يحصل له من أذى بسبب ذلك.

ولم يترك الإمام توجيه تلميذه محمدٍ حتى بعد انصرافه من المدينة إلى الكوفة واستقراره فيها، فكان يتابع أوضاعه، وكان محمد بن مسلم تاجرًا ثريًّا، ولكيلا «يطغى أن رآه استغنى» فقد وجه الإمام إليه نصيحة بأن يتواضع «فاخذ قوصرة تمر فوضعها على باب المسجد وجعل يبيع التّمر فجاء قومه فقالوا فضحتنا فقال أمرني مولاي بشيء فلا أبرح حتّى أبيع هذه القوصرة فقالوا أمّا إذا أبيت الّا هذا فاقعد في الطّحّانين ثمّ سلّموا اليه رحى فقعد على بابه وجعل يطحن».[2]

(1) الطوسي: رجال الكشي 1/ 392. عن محمّد بن مسلم قال خرجت إلى المدينة وانا وجع ثقيل فقيل له محمّد بن مسلم وجع فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السلام بشراب مع الغلام مغطّى بمنديل فناولنيه الغلام وقال لي: اشربه فإنه قد أمرني ألّا ارجع حتى تشربه فتناولته فإذا رائحة المسك منه وإذا شراب طيّب الطّعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام يقول لك: إذا شربت فتعال! ففكرّت فيما قال لي ولا أقدر على النّهوض قبل ذلك على رجلي فلمّا استقر الشراب في جوفي كأنّما نشطت من عقال فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوت بي، صحّ الجسم! ادخل ادخل فدخلت وانا باكٍ فسلّمت عليه وقبّلت يده ورأسه فقال لي: وما يبكيك يا محمّد؟ فقلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقّة وقلّة المقدرة على المقام عندك والنظر إليك فقال لي: امّا قلة المقدرة فكذلك جعل اللّه أولياءنا وأهل مودّتنا وجعل البلاء إليهم سريعا وأمّا ما ذكرت من الغربة فلك بأبي عبد اللّه عليه السلام أسوة بأرض ناءٍ عنا بالفرات صلى اللّه عليه، وأمّا ما ذكرت من بعد الشقّة فإن المؤمن في هذه الدّار غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدّار إلى رحمة اللّه، وامّا ما ذكرت من حبّك قربنا والنّظر الينا وأنت لا تقدر على ذلك فاللّه يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه.

(2) المصدر نفسه 1/ 389.

هذه التربية العلمية والعملية التي حصلت لمحمد بن مسلم الثقفي أوصلته لأن يكون كما قال فيه بعض معاصريه «ما كان من الشيعة أفقه من محمّد بن مسلم» وأن يكون في أيام الإمام الصادق عليه السلام بمثابة المرجع الديني للشيعة لأهل الكوفة بل لأعيانهم وكبار أصحاب الأئمة كما يستفاد ذلك من توجيه الإمام الصادق عبد الله بن يعفور إلى محمد بن مسلم حيث قال ابن أبي يعفور: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: إنّه ليس كلّ ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرّجل من أصحابنا ويسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه؟ قال: فما يمنعك من محمّد بن مسلم الثقفي فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهًا» ونلحظ في هذه الكلمة الإشارة إلى وجاهة محمد عند إمامه الباقر، وإلى سماعه وتلمذه عليه.

هذه الصياغة والتربية كانت في زمان الإمام الباقر، ونلحظ أنه بالرغم من أن بقاءه مع الإمام الصادق عليه السلام كان حوالي 34 سنة هي طيلة سنوات إمامته عليه السلام، بينما كان في المدينة مع الإمام الباقر أربع سنوات، وربما ما بعدها يصل إلى خمس عشرة سنة وهو نحو نصف مدة البقاء في إمامة الصادق عليهما السلام إلا أنه أخذ عن الباقر ثلاثين ألف حديث وعن الصادق ستة عشر ألفًا.

ولمعرفة الإمام بكفاءاته فقد أعطاه موقعًا متميزًا بين شيعة

الكوفة، وأشار إليه وأرجع نحوه، ودافع عنه حتى أمام قضاة السلطة، مبينًا لهم منزلته العالية. ويشير الرجاليون إلى حوادث تبين هذا الأمر:

الأولى: ما نقل عن أبي كهمس من أنه قال دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فقال لي «شهد محمّد بن مسلم الثقفي القصير عند ابن أبى ليلى[1] بشهادة فردّ شهادته! فقلت: نعم! فقال: إذا صرت إلى الكوفة فأتِ ابن أبى ليلى فقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس ولا تقول قال أصحابنا. ثم سله عن الرجل شك في الركعتين الأوليين من الفريضة وعن الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله، وعن الرجل يرمى الجمار بسبع حصيات فيسقط منه واحدة كيف يصنع؟ فإذا لم يكن عنده فيها شيء فقل له: يقول لك جعفر بن محمّد: ما حملك أن رددتَ شهادة رجل أعرف بأحكام اللّه منك وأعلم بسنّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم منك؟

قال أبو كهمس: فلمّا قدمت أتيت ابن أبى ليلى قبل أن أصير إلى منزلي فقلت له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس ولا تقل قال أصحابنا!

(1) الزركلي؛ خير الدين: الأعلام 6/ 189: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار الأنصاري الكوفي (74 ـ 148 هـ): قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. واستمر 33 سنة. مات بالكوفة.

قال هات قلت ما تقول في رجل شك في الركعتين الأوليين من الفريضة فأطرق ثمّ رفع رأسه إلي فقال: قال أصحابنا فقلت: هذا شرطي عليك أن لا تقول قال أصحابنا فقال: ما عندي فيها شيء!

فقلت له: ما تقول في الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله؟ فاطرق ثم رفع رأسه فقال: قال أصحابنا فقلت هذا شرطي عليك!

فقال: ما عندي فيها شيء! فقلت: رجل رمى الجمار بسبع حصيات فسقطت منه حصاة كيف يصنع؟ فطأطأ رأسه فيها ثمّ رفعه فقال: قال أصحابنا فقلت له أصلحك اللّه هذا شرطي عليك! فقال ليس عندي فيها شيء!

فقلت: يقول لك جعفر بن محمّد ما حملك على أن رددتَ شهادة رجل هو أعرف منك بأحكام اللّه تعالى واعرف بسنة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم منك؟

فقال لي: ومن هو؟ فقلت محمّد بن مسلم الطائفي القصير!

فقال: واللّه إن جعفر بن محمّد قال لك هذا؟

قال: فقلت واللّه انّه لقال لي جعفر هذا فأرسل إلى محمّد بن مسلم فدعاه فشهد عنده بتلك الشهادة فأجاز شهادته».[1]

(1) الطوسي: رجال الكشي 1/ 388.

ويظهر أن هذه الحادثة لم تكن الفريدة من نوعها، بل تشير الروايات إلى أن ابن أبي ليلى كان يعتقد في محمد بن مسلم أنه أخذ علما كثيرًا عن إمامه الباقر وأن ذلك راجع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي المواضع التي يصعب عليه أن يعمل فيها رأيه حيث كان من أتباع مدرسة الرأي، كان يسأل محمدًا ـ بشكل خاص إذ هو القاضي ولا يناسبه أن يعلم الناس أنه يتعلم من غيره ـ عما لا يتوصل له برأيه، ويشير لذلك ما رواه الكليني في الكافي والطوسي في التهذيب من «أنّه قَدَّم إلى ابن أبي ليلى رجلٌ خصمًا له فقال: إنّ هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركْبِها[1] حين كشفتها شعرًا، وزعمت انّه لم يكن لها قط، فقال ابن أبي ليلى: إنّ الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتى يذهب به، فما الذي كرهت؟! قال: أيّها القاضي إن كان عيبًا فاقض لي به، قال: حتى أخرج إليك، فإنّي أجد أذى في بطني، ثمّ إنّه دخل فخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي فقال: أيّ شيء ترون عن أبي جعفر عليه السلام في المرأة لا يكون على ركْبِها شعرٌ أيكون ذلك عيبًا؟ فقال له محمد بن مسلم: أمّا هذا نصًا فلا أعرفه، ولكن حدّثني أبو جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

(1) منطقة العانة.

كلّ ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب، فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثمّ رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب».[1]

الثانية: ما ذكره البحراني في العوالم نقلاً عن رجال الكشي بسنده عن محمّد بن مسلم، قال: إنّي لنائم ذات ليلة على السطح إذ طرق الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: أشرفْ يرحمك اللّه. فأشرفت فإذا امرأة، فقالت: بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتّى ماتت، والولد يتحرّك في بطنها، ويذهب ويجيء فما أصنع؟

فقلت: يا أمة اللّه، سئل محمّد بن عليّ بن الحسين الباقر عليه السلام عن مثل ذلك، فقال: يشقّ بطن الميّت، ويستخرج الولد، يا أمة اللّه، افعلي مثل ذلك؛ أنا يا أمة اللّه [رجل] في ستر، من وجّهك إليّ؟

قال: قالت [لي]: رحمك اللّه جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال لي: ما عندي فيها شيء، ولكن عليك بمحمّد بن مسلم الثقفي فإنّه يخبرك؛ فمهما أفتاك به من شيء فعودي إليّ فأعلمنيه. فقلت لها: امضي بسلامة».[2]

(1) الكافي 5/ 216 والتهذيب 7/ 66.

(2) البحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام جعفر الصادق عليه السلام 2/ 1058.

وهنا أنت ترى عزيزي القارئ أن رئيس المذهب الحنفي يوجه السائلة إلى محمد بن مسلم ويثق بعلمه ويطلب منها أن تخبره بجوابه.

ملاحظتان:

الأولى: نشير إلى أن أكثر[1] الذين نقلوا الرواية المذكورة، ذكروا هذا النص «طرق الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: شريك يرحمك اللّه. فأشرفت فإذا امرأة..» وليس هناك معنى لهذه الكلمة، ولم يرد بعدها ذكر لشريك هذا! ولعلهم توهموا أنه شريك القاضي فتابع بعضهم بعضا على هذا الاشتباه! والصحيح ما هو موجود في كتاب العوالم للبحراني «فقال (يعني الطارق) أشرفْ يرحمك الله» وهو ينسجم مع ما بعده من القول «فأشرفت فإذا امرأة»..

والظاهر أن النسخة التي اعتمدها صاحب العوالم من رجال الكشي تختلف عن النسخ الأخرى حيث نجد في النسخة المتداولة أيضًا كلمة «شريك يرحمك الله»!

(1) في الكتب الحديثية كبحار الانوار، وجامع أحاديث الشيعة، والكتب الرجالية كمجمع الرجال للقهبائي ومعجم رجال الحديث للخوئي، وتنقيح المقال للمامقاني، وقاموس الرجال للتستري. وكتب السيرة ككتاب: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة للمرحوم أسد حيدر، وحياة الإمام الباقر للمرحوم القرشي.

نستظهر هذا لأن شريكا القاضي ابن عبد الله النخعي،[1] لم يعرف أنه قضى على الكوفة أيام بني أمية، وإنما استقضاه المنصور العباسي سنة 153 هـ،[2] وحين استقضاه كان محمد بن مسلم قد توفي قبله بثلاث سنوات حيث توفي سنة 150 هـ، فلا يمكن أن تتزامن الحادثة مع كونه قاضيًا. ولم ينقل في التاريخ أنه استقضي قبل هذه السنة.

نعم ذكر ابن حِبّان أنه وَلي الْقَضَاء بواسط سنة خمسين وَمِائَة.[3] لكن الحوادث يفترض أنها في الكوفة.

والثانية: وترتبط بنتيجة الأولى وهي أن هناك رواية تشير إلى أن محمد بن مسلم قد تقدم مع أبي كريبة بشهادة إلى شريك القاضي فرد شهادتهما ونص الرواية هي هكذا « عن زرارة قال شهد أبو كريبة الأزدي ومحمّد بن مسلم الثقفي عند شريك بشهادة وهو

(1) الزركلي: الأعلام 3/ 163: شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، أبو عبد الله (95 ـ 177 هـ): عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته. استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة 153 هـ ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي. مولده في بخارى. ووفاته بالكوفة.
أقول: في موضوع ولاءاته وتوجهاته الدينية ومواقفه هناك كلام كثير.

(2) الطبري: تاريخ الطبري 8/ 43: «وفيها (153) توفي عبيد بن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستقضى مكانه شريك بن عبد الله النخعي.

(3) البستي؛ ابن حبان: الثقات 6/ 444.

قاضٍ فنظر في وجوههما مليًّا ثم قال جعفريّان فاطميّان فبكيا فقال لهما وما يبكيكما قالا له نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن يكونوا من اخوانهم لما يرون من سخف ورعنا ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا ان يكونوا من شيعته فإن تفضّل وقبلنا فله المنّ علينا والفضل فينا! فتبسّم شريك ثم قال: إذا كانت الرّجال فليكن أمثالكما يا وليد أجِزْهما هذه المرّة! قالا فحججنا فخبّرنا أبا عبد اللّه عليه السلام بالقصة فقال (ما لشريك شركه اللّه يوم القيمة بشركين من نار».. والكلام فيها هو نفس الكلام في سابقتها. ويحتمل أن يكون هناك اشتباه عند النقل في الاسم لكن يمنع هذا الاحتمال ما جاء في ذيل الرواية «ما لشريك.. الخ».

وقد لا يرد الإشكال على الرواية التي أعجز فيها محمد بن حكيم شريكًا في مسائل وتحداه أن يأتي فيها بما يسنده لرسول الله، من دون أن يستند إلى قول أصحابه، فأتيا له بمسائل في الصلاة: في حد التقصير للصلاة، وعلى من تجب الجمعة؟ فعجز أن يأتي بجواب من دون أن يقول قال فلان وفلان! ولما أرادوا الانصراف أخبروه بما علمهم إياه محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عن آبائه عن رسول الله فأقر لهم بأن محمدًا مأمون على الحديث![1]

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 1/ 389.

أقول: لا يرد الإشكال عليها فليس فيها ما يشير إلى أنه كان قاضيًا.. نعم كان أحد الوجوه العلمية في الكوفة.

جابر بن يزيد الجعفي الكوفي (ت 128)[1]

سوف أبدأ بما كنت قد كتبته قبل نحو ثلاثين سنة في كتاب (رجال حول أهل البيت 2) حول جابر بن يزيد الجعفي، وكان هكذا» «رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا..» الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

«إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها».

يتفاوت الناس في علمهم وفي قدرتهم على تحمل العلم، فبينما تجد البعض لا يستطيع استيعاب حقائق الشهود، تجد آخرين يتعاملون مع معادلات الغيب، لأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.[2]

وفيما يصعب على أناس معرفة الأسباب في علم الظاهر، تجد آخرين يسبحون في محيطات علم الباطن.

وقد قضت سنة الله في الخلق والكون، أن تتعلق الأمور الهامة بالغيب والباطن غالبًا، فبدءًا من مسألة الخالق، إلى مسألة الخلق والإنشاء، إلى غيرها من المسائل.

(1) في بعض المصادر أن وفاته كانت في سنة 132 هـ.

(2) البقرة: 3

ولذلك أيضًا فإن «أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد ممتحن».[1] ولأن الكثير من الناس يعيشون في أدنى درجات الظاهر فلا يصدقون إلا الأمور المحسوسة، لذلك يعيش أهل علم الباطن في أزمة قد تنتهي أحيانًا إلى اتهام هؤلاء العلماء بالجنون واختلاط الحواس وربما إلى الاتهام بالزندقة!!.

وإذا كان علم هؤلاء غريبًا على عموم الناس فإن طريقة حياتهم أكثر غرابة، ألم يقل المعصوم «تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل»[2]؟

إن هؤلاء في سبيل أهدافهم ـ لا مانع لديهم من الخروج على المألوف والتمرد على الواقع المعاش، لأنهم يعيشون الهدف، و(يؤمنون بالغيب) أنهم في هذا يشبهون الأنبياء في كونهم أصحاب رسالة هادية للمجتمع وغريبة على المألوف فيه.

(1) هذا المعنى (أن أمرهم كذلك لا يتحمله إلا خواص المؤمنين) ورد بعبارات متعددة وعن أكثر من معصوم، فقد ورد بالنص المذكور أعلاه عن أمير المؤمنين، وشرحه الإمام الباقر عليه السلام كما نقله القطب الراوندي في الخرائج 2/ 794، وورد كذلك باختلاف بسيط في أصل جعفر بن محمد الحضرمي من الأصول الستة عشر ص 65. والحديث ينقله جابر الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام.

(2) الحراني؛ ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 414. عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

لا مانع لديهم من التضحية بأشخاصهم أو اعتبار شخصياتهم إذا تطلبت مصلحة الرسالة ذلك.

وجابر بن يزيد الجعفي رجل من هذا الطراز فقد أوتي علم الباطن حتى قيل إن علم الأئمة انتهى إلى أربعة سلمان (المحمدي) وجابر بن يزيد والسيد (الحميري) ويونس بن عبد الرحمن.. وقد بلغ نهاية الغاية في إنكار الذات حين أنجز الدور المكلف به (التظاهر بالجنون) بأمر من الإمام الباقر، أنجزه بدون تردد»..

كيف؟! لنتابع مسيرة جابر منذ البداية حينما يدخل على الإمام الباقر منتميًا إلى خطه ومهاجرًا من الكوفة مسقط رأسه إلى المدينة ليطلب العلم من الإمام الباقر، ويتوسم فيه الإمام، شخصية استثنائية ذات كفاءات عالية في الاستيعاب والكتمان والتطبيق فيدفع إليه كتابًا ويقول له:

- إن أنت حدثت بهذا حتى يهلك بنو أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي؛ وإن أنت كتمت منه شيئًا بعد هلاك بني أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي. ثم دفع إليه كتابًا آخر وقال له: إن حدثت به بشيء منه أبدًا فعليك لعنتي ولعنة آبائي (!).

كانت هذه الأحاديث الخاصة، على وجه كبير من الأهمية

والسرية، ولذا كانت تشكل ضغطًا كبيرًا على جابر، لإفشائها لذلك كان يأتي إلى الإمام الباقر فيقول: جعلت فداك إنك حملتني وقرًا عظيمًا بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحدًا فربما جاش في صدري حتى يأخذني شبه الجنون!! فيقول له الإمام الباقر: يا جابر إذا كان ذلك فأخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا.

ذلك لأن «حديثنا صعب مستصعب أمرد ذكوان وعر أجرد لا يحتمله والله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد ممتحن».

وإذا، كان جابر يحمل هذه العلوم فقد كان ينضح من إنائه شيئاً الأمر الذي كان يجعل من يسمع منه لا يتعقلها، فيشنع بها عليه، لذلك أمره الإمام الباقر أن يحدث الناس بقدر ما يعقلون.

وبعد أن أمضى فترة تعلمه على يد الإمام الباقر، كلف بالسفر إلى الكوفة مرة أخرى لهداية الناس وإرشادهم.. ولم يكن يخفى على الحكم الأموي الموقع الهام الذي يحتله جابر بين أصحاب الأئمة، والكفاءات الخاصة التي يتميز بها. وكان يخطط لقتله باعتباره الوكيل الأول للإمام الباقر في الكوفة، وكانت عناية الله تحرسه، وتخطيط الإمام كان يسبق مكر الحكام..

فقد ودع جابر هذه المرة إمامه وسار من المدينة متجها إلى

الكوفة حتى وصل إلى (الأخيرجة) وهي منزل في الطريق، وقبل أن يغادر وصله كتاب من الإمام الباقر ففك الخاتم وأقبل يقرأه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره.. يقول الراوي.. ثم أغلق الكتاب فما رأيته ضاحكًا ولا مسرورًا.. فلما وافينا الكوفة ليلًا بت ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظامًا له فوجدته قد خرج علي وفي عنقه كعاب قد علقها، وقد ركب قصبته وهو يقول أجد منصور بن جمهور[1] أميرًا غير مأمور، وأبياتًا من نحو هذا، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه ولم يقل لي شيئًا ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع علي وعليه الصبيان والناس وجاء حتى دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جُنَّ جابر بن يزيد.

فوالله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك (مات سنة 125 هـ) إلى واليه: أن انظر رجلًا يقال له جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث برأسه إلي، فالتفت الوالي إلى جلسائه وقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟!. قالوا: أصلحك الله كان رجلًا له علم وفضل وحديث وحج فجن، وهو ذا في

(1) منصور بن جمهور بن حصن الكلبي من فرسان العرب في عصر بني أمية. خرج مع يزيد الناقص (بن الوليد بن عبد الملك) على الوليد (الماجن) بن يزيد بن عبد الملك، وكان مع من شارك في قتل هذا الأخير سنة 126 هـ. ولاه يزيد العراق وخراسان، وقاتل ثم قام يزيد بعزله فلحق بالشام.

الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. فأشرف الوالي عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله.

وكتب الوالي إلى هشام بن عبد الملك بالأمر، فانصرف عن قتله، وظل جابر على هذه الحالة من التخفي والتنكر، إلى أن انقضى زمان هشام بن عبد الملك وانقضى معه الخطر، تغير الدور المطلوب وعاد جابر إلى ما كان عليه من (العقل)!! يقول عبد الحميد ابن أبي العلاء: دخلت المسجد حين قتل الوليد (بن يزيد) فإن الناس مجتمعون، فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه عمامة خز حمراء، وإذا هو يقول: حدثني وصي الأوصياء وارث علم الأنبياء محمد بن علي (الباقر).

واستمر يبلغ رسالة الله وأحكام الدين وينفق مما عنده، وكان قد روى عن الباقر سبعين ألف حديث، وألف عددًا من الكتب من بينها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين، وكتاب مقتل الحسين وكتاب النوادر، ورسالة الإمام أبي جعفر إلى أهل البصرة.» [1]

(1) آل سيف؛ فوزي: رجال حول أهل البيت 2/ 39.

والحق أن شخصية جابر الجعفي؛ شخصية شديدة التعقيد والتركيب، تتداخل فيها الأدوار بشكل عجيب حتى لترى نفسك أمام عشرات الشخصيات التي اجتمعت في ذات واحدة. ولهذا لا غرابة أنه بينما قال فيه بعض علماء مدرسة الخلفاء أنه مدلس وكذاب وأن مروياته في كتب السنن ومسند أحمد 18 رواية[1] قال بعضهم الآخر[2]: أنه لولا جابر الجعفي لكان أهل الكوفة بلا حديث!.

وفي المجتمع الكوفي الذي كان يغلب عليه التشيع حينها، بينما يستمع إليه أناس وهو يقول: حدثني وصي الأوصياء وارث علم الأنبياء محمد بن علي الباقر، يقول عنه آخرون: جُنّ جابر! جُنّ جابر!

وبين فقهاء ورجاليي مدرسة الخلفاء بينما تجد فيهم كسفيان الثوري من يتحدث عنه فيقول «جابر الجعفي صدوق في الحديث إلّا أنّه كان يتشيّع، وحكي عنه انّه قال: ما رأيت أورع

(1) مرويات جابر بن يزيد الجعفي في السنن ومسند أحمد/ د. عبد الواسع محمد الغشمي: مقالة على الانترنت قرئت بتاريخ 20/ 11/ 1444
https://fraz.journals.ekb.eg/article_.pdf

(2) قال الترمذي سمعت الجارود يقول سمعت وكيعًا: لولا جابر الجعفي لكان أهل الكوفة بلا حديث!

بالحديث من جابر»[1]. تجد غيره يتهمه بالكذب على رسول الله كالشعبي[2] الذي قال: لا تموت حتى تكذب على رسول الله! فما مضت الأيام حتى اتهم بالكذب!

بل حتى لدى الإمامية بينما ترى من يرى أنه «قلّ ما يورد عنه شيء في الحلال والحرام وكان في نفسه مختلطًا» كما عن النجاشي،[3] يرى غيره مضمون الرواية التي سئل فيها الإمام الصادق عن منزلة جابر منهم، فقال: منزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى كل حال فإننا نختار ما ذكره ابن العلامة المامقاني رحمه الله ونقف معه في مقالته: «أقول: يحار المرء، وتحيطه هالة من الوجوم من تضعيف بعض أعلامنا للمترجم- طاب رمسه -، وغفلتهم في تحقيق حال بعض الرواة المبرّزين، والتسرّع في الحكم عليهم بالضعف أو الجهالة، ومن أولئك الرواة الأبرار، وعيبة أسرار الأئمة الأطهار صلوات اللّه وسلامه عليهم المترجم الجليل جابر

(1) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث 4/ 337.

(2) مما قال عنه الزركلي: الأعلام 3/ 251: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري (19 - 103 هـ) ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها.

(3) النجاشي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ص 128.

بن يزيد الجعفي رضوان اللّه تعالى عليه، فإنّه اختص بمزايا عالية ترفعه إلى قمّة الوثاقة والجلالة، ولك أن تسرّح نظرك فيما نقله المؤلّف قدس سره، (يقصد والده في تنقيح المقال) وذكرته في التعليق من كلمات الخاصة والعامة، وتمنح الموضوع دراسة وافية، لتقف على مقام هذا المحدّث العظيم، بعد أن وثّقه طائفة من العامّة، وشهدوا بعلمه، وصدقه، ووثاقته. وضعّفه آخرون محتجّين بأنّه كان يؤمن بالرجعة، وأنّه عند هلاك الوليد، واجتماع الناس في المسجد حدّث المجتمعين بحديث، وقال: حدثني وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء محمد بن علي عليهما السلام فرموه بالجنون، وهم معذورون في تضعيفه ورميه بالجنون؛ لأنّه إذا كان محمد بن علي الباقر عليهما السلام وصيّ الأوصياء، وكان الوارث لعلم الأنبياء، فما الّذي يبقى لأشياخهم وخلفائهم، فهم مضطرّون لحفظ مذهبهم، وعدم انهدام أساس عقيدتهم، من رميه بكل ما يحطّ منه، ولكن المؤسف له جدًا من بعض علماء الخاصة المتسرّعين في الأحكام، والمتساهلين في تحقيق حال الرواة، من رميه بالضعف».[1]

مع دراسة عن مرويات جابر:

1/ ولقد لفت نظري ما كتبه د. عبد الواسع الغشمي في دراسته

(1) المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال 14/ 140، تعليقته في الهامش.

عن «مرويات جابر بن يزيد الجعفي في السنن ومسند أحمد» فرأيت أن أعلق على بعض ما جاء فيها، والناظر إليها يجدها تنتمي إلى نفس المنهج الذي التزمه رجاليو ومحدثو مدرسة الخلفاء من الطعن في جابر، بل زاد على ذلك الطنبور نغمات. فإذا كان بعضهم وصفه بالتدليس إلا أن يصرح بالسماع.. فإن كاتب الدراسة رفض أحاديثه حتى لو صرح بالسماع!! بل سعى في رد وتأويل كلمات من وثقه بحيث تنتهي إلى لا شيء، وإلا فهل هناك أوضح وأصرح من كلمات شعبة فيه «جابر الجعفي صدوق في الحديث، وكان جابر إذا قال: حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس.[1]

2/ ونفى أن يكون ردهم لأحاديثه ناشئًا عن اعتقاده بالرجعة! ثم نقل تعريف الرجعة عن لسان العرب، وهذا غير صحيح من الناحية العلمية، كما أن التعريف المنقول عن لسان العرب غير صحيح.

أما أنه ليس صحيحًا من الناحية العلمية فإن الرجعة هي مصطلح ديني أو مذهبي ينبغي الرجوع فيه إلى ما يعرّفه به أصحابه والمؤمنون به لا أن يقال كما جاء في الهامش نقلًا عن

(1) العسقلاني ؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب2/ 47.

لسان العرب عن الرجعة «ذلك مذهب طائفة من المسلمين من أولي البدع والأهواء يقولون إن الميت يرجع إلى هذه الدنيا ويكون حيًّا فيها كما كان»!

وهو مع ذلك خاطئ فلا يعتقد الشيعة أو كما قال الرافضة بهذا! وإنما لهم في معنى الرجعة كلامٌ آخر مختلف تمامًا.

3/ والغريب أنه في تعداد مشايخه: لم يذكر اسم الإمام محمد الباقر ولا الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، وهذا غريب فإنه ذكر سبعة قال إنهم مشايخه، وأغفل الإمامين عليهما السلام، مع أن الضجة القائمة حوله إنما هي لأجل هذه الجهة! وأنه هل روى عنهما هذه الروايات أو لا؟

4/ وقد تم الاستشهاد في رد أحاديث جابر واتهامه بالكذب بكلام الشعبي؛ عامر بن شراحيل (ت 100 هـ) وبكلام أبي حنيفة النعمان (ت 150 هـ)، نقلًا لتضعيف السابقيْن لجابر اعتمادًا على هذه الكلمات، أما كلام الشعبي فإنه قال «لا تموت حتى تكذب على رسول الله![1] فما مضت الأيام حتى اتهم بالكذب»! وأما كلام أبي حنيفة «ما لقيت أكذب من

(1) المصدر نفسه والصفحة.

جابر الجعفي! ما أتيته بشيء إلا جاءني فيه بحديث وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها»![1]

والشعبي؛ سواء صح ما نقل عنه من القول من أنه «يحلف بِاللَّه عز وَجل: لقد دخل عَليٌّ حفرته وَمَا حفظ الْقُرْآن»[2] أو لم يصح فإن موقفه السلبي من الإمام علي عليه السلام، والعدائي لشيعته واندماجه مع بني أمية، ليس بخاف على من يقرأ تاريخه.. فماذا يُتوقع منه؟ على أن ما جاء في كلامه ليشعر بأنه لديه علم المستقبل أو الغيب، والمفروض أن مدرسة الخلفاء لا تثبت هذه المنزلة لكبار رموزهم فضلًا عن العلماء ورواة الحديث!

وأما قول أبي حنيفة ـ إن صح عنه ـ فهو على القاعدة تمامًا، فإن أبا حنيفة لم يعرف عنه حفظ للأحاديث ولا اعتماد عليه وإنما عرف عنه اعتماده على الرأي والاجتهاد البعيد عن النص والحديث ومدرسته في هذا واضحة، حتى قال بعض مخالفيه من نفس مدرسة الخلفاء أنه لم يعتمد إلا سبعة عشر حديثًا! وبغض النظر عن هذا الكلام فإنه لا يصنف في رواة الحديث.. بخلاف جابر الجعفي فإن عمله الأساس طيلة بقائه ووجوده مع الإمامين

(1) المصدر نفسه ص 48.

(2) ابن قتيبة الدينوري؛ عبد الله بن مسلم: تأويل مختلف الحديث ص32.

الباقر والصادق عليهما السلام هو السؤال وحفظ الحديث عنهما، وقد دون شيئًا مما روى عنهما في كتبه التي مرَّ بك أسماؤها! إلى الدرجة التي قال فيها بعضهم كما مرَّ آنفًا: لولاه لما كان حديث في الكوفة!

نعم كلامه يثبت خلو ساحة أبي حنيفة من الأحاديث وامتلاء وعاء جابر بها!

5/ إن تضعيف القوم لجابر بن يزيد الجعفي يرجع في حقيقة الأمر إلى اعتقاداته، ومضامين أحاديثه، فلو تم توثيقه فسيكون حديثه حجة عليهم فماذا يصنعون عندها؟

ونحن نجدهم حتى في صياغة عبارات التضعيف لا يخرجون عن هذه الجهة فهذا ابن حبان يقول «كان سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ، يقول إن عليًّا يرجع إلى الدنيا»[1] وهو تعبير آخر عن إنه ضعيف لأنه يؤمن بالرجعة![2]

(1) العسقلاني ؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب 2/ 50.

(2) في المصدر السابق: نقل كثيرًا من عباراتهم المشيرة لهذه الجهة، فمنها:.. قال جرير لا أستحل أن أروي عنه كان يؤمن بالرجعة!.. وقال الحميدي أيضًا سمعت رجلا يسأل سفيان أرأيت يا أبا محمد الذين عابوا على جابر الجعفي قوله حدثني وصي الأوصياء فقال سفيان هذا أهونه!.. وقال يحيى بن يعلى سمعت زائدة يقول جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله (أقول: قصدهم معاوية وإلا فإنهم يروون عنه عن الإمام الباقر أن الخليفتين كانا إمامي هدى)، وقال العجلي كان ضعيفًا يغلو في التشيع! وهكذا..

وهو إشارة لاعتقاداته، وقد فهم ابن عدي هذه الجهة فقال: «وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة».[1]

والصحيح في شأنه هو ما سبق أن ذكرناه أنه من أوعية العلم المنقول عن أهل البيت وأنه ثقة بلا ريب.

أسرة آل أَعيَن[2] الشيباني

أرسل لي العلامة الشيخ الكوراني حفظه الله كتابه السيرة الكاملة للإمام الباقر عليه السلام، ورأيت أنه قد عنون أيضًا هذه الأسرة المباركة في فصل «الأصحاب الخاصون للإمام الباقر والصادق عليهما السلام» وبينه وبين ما سيأتي مما نذكره عموم من وجه:

أ/ فأول ما يُذكر هنا أننا نتحدث عن أسرة كاملة وجد فيها فقهاء ومتكلمون، وأصحاب قراءة، ورواة حديث ومتخصصون في اللغة العربية والأدب، وربما تكون هذه الأسرة هي أول أسرة في تاريخ الشيعة الإمامية احتضنت ـ كأسرة ـ المذهب وبرز فيها هذا العدد الذي سيأتي ذكره، واستمرت من أيام الإمام زين العابدين إلى عصر غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أي ما يزيد

(1) المزّي؛ يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 4/ 469.

(2) أعين: على وزن أصفر وأحمر، بفتح الألف والياء، بمعنى واسع العين جميلها. ويخطئ من يلفظها أعيُن وكأنها جمع.

على مئة وخمسين سنة. وكان لهم في الكوفة محلة باسمهم ومسجد كذلك صلى فيه الإمام الصادق عليه السلام. وكتب بعض الباحثين[1] «أنه قد جُمع من روى الحديث من آل أعين فكانوا ستين رجلًا».

ب/ نقل عن تاريخ آل زرارة، أن أبناء أعين كانوا عشرة وهم: زرارة بن أعين وإخوته بكير، وحمران، وضريس وعبد الملك وقعنب ومالك ومليك وعبيد الله وموسى.

ومن أولاد زرارة: عبيد والحسن والحسين وعبد الله ومحمد ويحيى من أصحاب الصادق وورومي من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام.

ومن أولاد حمران: محمد وحمزة وعبد الرحمن وعقبة من أصحاب الإمام الصادق. ولهم روايات في كتب الفقه والعقائد.

ولبكير بن أعين: ستة أولاد كلهم من رواة الحديث وأصحاب الأئمة.

ج / وأكبر الإخوة المباشرين سنًّا هو حمران وكان نحويًّا متميزًا،

(1) فضل الله؛ السيد علي محمد جواد: مجلة بقية الله الكترونية
https://www.baqiatollah.net/article.php?id=9013

وأحد شيوخ الإقراء، وذكره الإمام الباقر عليه السلام بأنّه من شيعتهم في الدنيا والآخرة[1] وعندما حج زرارة ودخل على أبي جعفر الباقر وهو بمنى، فسأله الإمام أمن بني أعين أنت؟ قال نعم: أنا زرارة! فقال: إنما عرفتك بالشبه.. أحج حمران؟ قال: لا! وهو يقرئك السلام. فقال عليه السلام: إنه من المؤمنين حقًّا. لا يرجع أبدا، إذا لقيته فاقرأه مني السلام، وقل له: لم حدثت الحكم بن عتيبة عني: إن الأوصياء محدثون؟ لا تحدثه وأشباهه بمثل هذا الحديث.[2] «وقد وقع في إسناد كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، تبلغ مائة وتسعة عشر موردًا في الكتب الأَربعة».[3]

وابنه حمزة كان من الفقهاء الرواة، وقد وقع اسمه في إسناد تسعة وخمسين موردًا من رواياتهم عليهم السلام في الكتب الأَربعة، وصنّف كتابًا في الحديث.[4]

د/ وأكبرهم منزلة وأكثرهم علمًا هو زرارة وله من الروايات العدد الكبير، وقد ذكره النجاشي فقال «شيخ أصحابنا في زمانه

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 1/ 412.
(2) المصدر نفسه ص 415.
(3) موسوعة طبقات الفقهاء، ج 1، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ص 331.
(4) موسوعة طبقات الفقهاء 2/ 169.

ومتقدمهم، وكان قارئًا فقيهًا متكلمًا شاعرًا أديبًا، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقًا فيما يرويه»[1] وكل صفة من هذه الصفات تشير إلى مجال علمي وتخصص، وعُرف بأنه أفقه أصحاب الإجماع[2] من تلامذة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، ووُصف بأوصاف جليلة مع آخرين ـ مع ملاحظة أنه أفقههم ـ فقد روي عن الإمام الصادق القول في: بريد وأبي بصير، ومحمد بن مسلم، وزرارة «أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست».[3] وأشار إليه الإمام الصادق باعتباره الفيصل في الاختلاف بين أصحابه.[4] والذين كانوا حوله بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم.

وقد ذكر آية الله السبحاني في موسوعة طبقات الفقهاء أنه قد نقل زرارة عن الإمام الباقر ـ في الكتب التي بين أيدينا ـ

(1) النجاشي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ص 175.

(2) وقال الكشي في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام)، وأبي عبد الله (عليه السلام): «اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام) وأصحاب أبي عبد الله (عليه السلام)، وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة زرارة ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي.
قالوا: وأفقه الستة زرارة.

(3) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)1/ 398.

(4) قال الإمام للفيض بن المختار: فإذا أردت حديثًا فعليك بهذا الجالس وأومأ إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه فقالوا: زرارة بن أعين.

«ألفًا ومائتين وستة وثلاثين موردًا، كما أنّ روايته عن الإمام الصادق ـ عليه السلام تبلغ أربعمائة وتسعة وأربعين موردًا».[1]

وقد روى بعض أبناء زرارة عن المعصومين روايات في الفقه والعقائد وساروا على ضوء منهجهم وعرفوا بموالاتهم.

بكير بن أعين: (ت قبل 148 هـ)

«روى عن الامامين الطاهرين (الباقر والصادق) عليهما السلام ـ روايات كثيرة، تبلغ مائة وأربعة وعشرين موردًا» ولما توفي قال الإمام الصادق ـ عليه السلام: لقد أنزله اللَّه بين رسول اللَّه وأمير المؤمنين صلوات اللَّه عليهما.[2]

وابنه عبد الله بن بكير من الفقهاء المعروفين بأصحاب الإجماع، وهو من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وقد ورد اسمه في نحو تسعمائة رواية[3].

وبكير هو جد الحسن بن الجهم الذي هو من خواص أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وروى عنه وعن أبيه الإمام الكاظم عليهما السلام، وورد اسمه في نحو 74 رواية[4].

(1) السبحاني؛ الشيخ جعفر: موسوعة طبقات الفقهاء 2/ 208.
(2) المصدر نفسه 2/ 87.
(3) المصدر السابق 2/ 330.
(4) المصدر نفسه 2/ 121.

عبد الملك بن أعين، والذي كان مستقيمًا، عارفًا بالأئمة، ذا محل رفيع ومنزلة سامية عند الصادق عليه السلام. فقد روي عن زرارة أنّه قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام بعد موت عبد الملك بن أعين: اللهمّ إنّ أبا الضريس، كنّا عنده خيرتك من خلقك، فصيّره في ثقل محمد صلواتك عليه يوم القيامة.

وكان الصادق عليه السلام حين بلغه خبر وفاته وهو بمكة قد رفع يده ودعا له واجتهد في الدعاء وترحّم عليه[1].

وابنه ضريس بن عبد الملك صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فأخذ عنهما الفقه والحديث وغير ذلك، وروى عنهما أربعة وستين موردًا وكان خيّرًا، فاضلًا، ثقةً.[2]

وقد ترجم لأعيان هذه الأسرة في كتاب موسوعة طبقات الفقهاء، فليراجع من أراد التفصيل فليس الغرض نقل تراجم آل أعين وإنما الغرض هو بيان أن الفئة المؤسسة للعلم والاتجاه الموالي لأهل البيت عليهم السلام فيها هم في الأساس طبقة تلامذة وأصحاب الإمام الباقر ورجال مدرسته.

(1) المصدر نفسه 2/ 366.

(2) المصدر نفسه / 2/ 280.

أهم أصحاب الإمام الصادق هم تربية الإمام الباقر:

يشير إلى ذلك وصية[1] الإمام الباقر عليه السلام ابنه الصادق بأصحابه، والمقصود هم هؤلاء، فمثلًا لو نظرنا إلى من ذكرهم الإمام الصادق بعنوان أنهم أحب الناس إليه أحياءً وأمواتًا وهم: بريد العجلي، وزرارة، ومحمد بن مسلم، والأحول (مؤمن الطاق)، فإن ثلاثة من هؤلاء (بريد وزرارة ومحمد) هم تربية الإمام الباقر ومن ثمار تعليمه. وقد مرَّ بنا الحديث عن زرارة وإخوته. ومنهم أبان بن تغلب الذي أوجع موتُه قلبَ الإمام الصادق وقد ذكرنا شيئًا من ترجمته في كتابنا: سيد العابدين: الإمام علي بن الحسين. وأبو خالد الكابلي الذي يعد من حواريي زين العابدين عليه السلام.

ولو أردنا تتبع الأسماء لطال بنا المقام، لكن الناظر يلاحظ أن أشهر أسماء الأصحاب بدأوا المشوار مع الإمام الباقر.

1/ الفضيل بن يسار.2/ أبو بصير الأسدي 3/ أبو بكر الحضرمي 4/ معروف بن خرّبوذ 5/ أبو الربيع الشامي 6/ زيد الشحام 7/ سعد بن طريف الإسكاف 8/ ميمون بن الأسود القداح 9/ عبد الله بن ميمون القداح 10/ ميسر بن عبد العزيز النخعيّ 11/ أبو بصير المرادي... وغيرهم كثير.

(1) «يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرًا. قلت جعلت فداك والله لأدعنّهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدًا».

الحياة الأسرية للإمام

أولاد الإمام عليه السلام:

1/ **الإمام أبو عبد** الله **جعفر الصادق** أولهم وأفضلهم:، وتجد شيئًا من سيرته وقضاياه في كتابنا «إمام الإسلام».

2/ **عبد** الله: وهو الأخ الشقيق للإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. ويحتمل بعض الباحثين أنه أصغر سنًا من الإمام عليه السلام بسنة. وقد ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد فقال: «وكان أخوه عبد اللّه يُشار إليه بالفضل والصلاح، روي أنه دخل على بعض بني أميّة، فأراد قتله، فقال له عبد اللّه لا تقتلني فأكون للّه عليك عونًا واستبقني أكن لك على اللّه عونًا» يريد أنه ممن يشفع إلى اللّه فيشفعه، فقال له الأمويّ: لست هناك وسقاه السمّ فقتله.[1]

(1) الأصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبيين 109. والشيخ المفيد: الإرشاد 2/ 177.

وبعد إشارته أنه ذكر وفاته بذلك النحو الأربلي وأبو الفرج الأصفهاني نقل الباحث المعاصر السيد حسين الزرباطي[1] ما ذكره الشيخ المفيد من دخوله على بعض بني أمية بما تقدم أعلاه، عقبه بالقول إن المجلسي نقله في البحار وابن فندق في لباب الأنساب، وأنه دفن في البقيع وصلى عليه سعيد بن المسيب إمام دار الهجرة وهو ابن ثلاثين سنة يوم قتل وفي سبب قتله قيل إنه دعا إلى أخيه الصادق عليه السلام فقتل. وعقب ذلك النقل بقوله: «ولقد بحثنا عمن كان يتولى المدينة في التاريخ الذي توقعنا فيه مقتل عبد الله أي سنة 115 هـ. رأينا أن الذي كان يحكم المدينة خلال الفترة من 114 ـ 118 هـ. هو خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم الذي كان يحمل على علي أمير المؤمنين عليه السلام ويتكلم على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانتقاصه».

ويبدو ـ والله العالم ـ أن المصدر الأساس لهذا الخبر هو أبو الفرج الاصفهاني (ت 356 هـ) في مقاتل الطالبيين،[2] والشيخ

(1) الزرباطي؛ السيد حسين: أولاد الإمام محمد الباقر عليه السلام ص 127.

(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص 109: «حدثنا علي بن الحسين قال: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن مسلمة قال: حدثنا زكريا بن يحيى، عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه قال: دخل عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي على رجل من بني أمية فأراد قتله. فقال عبد الله بن محمد: لا تقتلني أكن لله عليك عينًا، ولك على الله عونا، فقال: لستَ هناك، وتركه ساعة، ثم سقاه سما في شراب سقاه إياه فقتله.». وقول الأموي: لستَ هناك. يعني أنه ليست لك منزلة عند الله.

المفيد (ت413 هـ) الذي ذكره من غير سند يبدو أنه قد اعتمد عليه كما يلاحظ الناظر إلى كثير مما أورده الشيخ المفيد في قضايا التاريخ من اعتماده على مقاتل الطالبيين. ثم نقل عن الشيخ المفيد من ابن فندق البيهقي (ت 565 هـ) في كتابه لباب الأنساب، والاربلي وغيرهم ممن أتى بعدهم.[1]

ولم يتضح لي حال خبر أبي الفرج الاصفهاني، والغريب أنه لم نجد أي خبر بهذا المضمون قبل أبي الفرج أو في غير هذا الكتاب!

3/ **علي بن الإمام الباقر**: وقد ذكروا أن أمه (جارية) أم ولد، والعمدة في ذلك اعتمادهم على كلام الشيخ المفيد في الإرشاد. لكننا نجد في الكافي رواية تشير إلى أن أم علي كانت حرة وأنها لم تكن على خط الولاية، فهل هي أمه؟ وأن ما ذكروه من كونها أم ولد اشتباه؟ أو أنها امرأة أخرى واسمها أو كنيتها أم علي؟ لا سبيل لنا لمعرفة ذلك. وسيأتي في عنوان نساء الإمام بحث في أمر هذه المرأة.

(1) العجيب أن الخبر في بعض نسخ الارشاد تم عزوه إلى بحار الأنوار للعلامة المجلسي!! وفي هامش البحار تم الاعتماد على الإرشاد. والثاني وإن كان طبيعيا ـ لتأخره زمان عنه ـ إلا أن الأول غريب!

وأما الولد علي: فقد ذكر بأنه «كان عظيم الشأن، وصاحب فضائل جمة وكرامات باهرة. كان على قيد الحياة قبل سنة 148، وقبره بحوالي مدينة كاشان، وله مرقد يقصده الشيعة لقضاء حوائجهم يعرف بإمام زاده باركرس».[1]

وأما عن كيفية وصوله إلى هذه المنطقة فإن بعضهم يذكر أن «أهالي تلك الديار أرسلوا وفدًا إلى الإمام الباقر عليه السلام يريدون منه أن يبعث إليهم من يعلمهم أحكام دينهم وأمور شرعهم فبعث الباقر عليه السلام ابنه عليّا وبعد سنة من إقامته في [فين كاشان] وصله خبر وفاة أبيه الإمام الباقر عليه السلام وبعد سنتين من ذلك دعاه عدة من الموالين لزيارة أردهال كاشان، ويكتب والي أردهال إلى أمير قزوين يخبره باجتماع الناس على علي بن الباقر، ويرسل والي قزوين بعد اطلاعه على الخبر جيشًا نحو كاشان وفي قتال بين اتباع علي بن الإمام الباقر عليه السلام وبين الجيش القادم يقتل السيد علي بسهم من العدو، ويدفن هناك».[2]

هذا ولكن ينسب لعلي بن الإمام الباقر عليه السلام مشهد آخر، وهو

(1) الشبستري؛ عبد الحسين: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام2/ 423.

(2) آل سلاط؛ الشيخ حسام: شهيد أردهال علي الطاهر ابن الإمام الباقر ص 69، عن كتاب النقض للشيخ عبد الجليل الرازي وروضات الجنات وغيرهما.

الأمر الذي يذكره الباحث المعاصر حكمت الخفاجي حيث يقول: «علي بن محمد الباقر: عاش في كنف أبيه، وتربى على هديه وسلوكه فنشأ مثالًا للفضل والعلم، ولم تنقل لنا المصادر التي بأيدينا شيئًا غير أنه لقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه وقال العلماء: مشهد الطاهر يقع في قرية من أعمال الخالص قريبة من بغداد وظهر فيها قبر قديم عليه صخرة مكتوب فيها: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ضريح الطاهر علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد انقطع باقي الصخرة فبنى عليه قبة من لَبِن ثم عمّره شيخ من الكتّاب يقال له علي بن نعيم كان يتولى كتاب الديوان الخالص، فزوقه وزخرفه، وعلّق فيه قناديل من الصفر، وبنى حوله رحبة واسعة وصار من المشاهد التي تزار».[1]

4/ **إبراهيم**: وقد ذكره المتقدمون كالشيخ المفيد[2] ومن أخذ عنه باعتبار أنه توفي وهو صغير فقد قال الشيخ المفيد في ذكر أولاد الإمام الباقر عليه السلام: «إن ولد أبي جعفر عليه السلام سبعة نفر، أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السلام وكان به يكنى، وعبد اللّه بن

(1) الخفاجي ؛ حكمت عبيد: الامام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير ص 47.

(2) عبارة الشيخ المفيد تشبه تماما ما جاء في طبقات ابن سعد 7/ 315 ونسب قريش ص63.

محمّد، أمهما أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر وعبيد اللّه وإبراهيم درجا..» فقد قرنه هنا بعبيد الله وقال إنهما درجا يعني توفيا صغيرين.

إلا أن صاحب كتاب أولاد الإمام الباقر، لم يقبل ذلك ورأى أنه «قد ابتعد عن الساحة هو وإخوته خوفًا من الفتك وهربا من بطش الظلم حتى كأنهم لم يكونوا ويبدو ذلك جليًّا عند مراجعة كتب السير والأنساب حيث ادعى البعض بسبب اختفاء آثارهم أنهم درجوا صغارًا في حياة أبيهم أو أنهم لم يعقبوا»[1] وحاول إقامة عدد من القرائن التي تشير إلى مختاره من أنه بقي حيًّا وكان له عقب .

5/ **عبيد** الله: ولعل كلمتهم متفقة على أنه توفي صغيرًا.

6/ **زينب بنت الإمام** وأمها أم ولد وهي بحسب ما جاء في الإرشاد شقيقة علي (الطاهر) ابن الإمام.

7/ **أمّ سلمة** وأمها كذلك أم ولد.

نساؤه عليه السلام:

1/ **أولهن وأفضلهن**: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر،

(1) الزرباطي: أولاد الإمام محمد الباقر ص 129.

والدة ابنه الإمام جعفر الصادق، وابنه الآخر عبد الله. وقد ذكرنا شيئًا من أحوالها وسيرتها في كتابنا الآخر «إمام الإسلام».

2/ **أم حكيم بنت أسيد** بن المغيرة الثقفية: وقد ذكر في الإرشاد أنها أم إبراهيم وعبيد الله، ولعلها هي الثقفية التي طلقها الإمام الباقر عليه السلام لما سمعها تبرأ من أمير المؤمنين عليه السلام، فحاول معها ليلة كاملة لثنيها عن رأيها فلم تنثنِ، فطلقها ـ مع رغبته فيها ـ لأنه يكره أن يضم لنحره جمرة من جهنم.

فقد روى الكليني في الكافي عن أبي الجارود (وكان كفيفًا) قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو جالس على متاع، فجعلت ألمس المتاع بيدي، فقال: هذا الذي تلمسه بيدك أرمنيّ. فقلت له: وما أنت والأرمني؟

فقال: هذا متاع، جاءت به أمّ عليّ ـ امرأة له ـ.

فلمّا كان من قابل دخلت عليه، فجعلت ألمس ما تحتي، فقال: كأنّك تريد أن تنظر ما تحتك؟ فقلت: لا، ولكنّ الأعمى يعبث فقال لي: إنّ ذلك المتاع كان لأمّ عليّ، وكانت ترى رأي الخوارج، فأدرتها (يعني حاولت ثنيها) ليلة إلى الصبح أن ترجع عن رأيها وتتولّى أمير المؤمنين عليه السلام فامتنعت عليّ، فلمّا أصبحت طلّقتها.[1]

(1) الكليني: الكافي 6/ 477.

ويشير إلى كون المطلقة من ثقيف، وأنها لم تكن تظهر ذلك من أول الأمر أو تعتقده ما جاء في الرواية الأخرى «كانت تحته امرأة من ثقيف وله منها ابن يقال له: إبراهيم فدخلت عليها مولاة لثقيف فقالت لها: من زوجك هذا؟ قالت: محمد بن علي قالت: فإن لذلك أصحابًا بالكوفة قوم يشتمون السلف ويقولون.. قال: فخلى سبيلها قال: فرأيته بعد ذلك قد استبان عليه وتضعضع من جسمه شيء قال: فقلت له: قد استبان عليك فراقها، قال: وقد رأيت ذاك؟ قال: قلت: نعم.»[1]

يبقى أن نشير إلى أنها قد عنونت في الرواية الأولى بأنها أم علي، بينما الحديث عن أم حكيم، وجواب ذلك أنه قد يكون أم حكيم اسمًا لها وأم علي كنية (بغض النظر عن وجود ولد لها باسم علي أو لا كما هو في الكثير من الكنى)، أو قد يكون اشتباها من الراوي، فإن من المعلوم أن الإمام إنما طلق واحدة على أثر براءتها من علي أمير المؤمنين وليس أكثر.

وهي نفسها التي تشير لها رواية ثالثة عن مالك بن أعين قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وعليه ملحفة حمراء جديدة شديدة الحمرة فتبسمت حين دخلت فقال: كأني أعلم لم ضحكت،

(1) المصدر نفسه 5/ 351.

ضحكت من هذا الثوب الذي هو عليَّ! إن الثقفية أكرهتني عليه وأنا أحبها فأكرهتني على لبسها ثم قال: إنا لا نصلي في هذا ولا تصلوا في المشبع المضرج قال: ثم دخلت عليه وقد طلقها فقال: سمعتها تبرأ من علي عليه السلام فلم يسعني أن أمسكها وهي تبرأ منه».[1]

3 و4/ ثنتان من أمهات الأولاد، أنجبتا له أم سلمة وزينب وعليًّا.

(1) المصدر نفسه 6/ 447.

كلمة شكر

أتقدم بجزيل الشكر ووافر التحية للإخوة الفضلاء؛ علي الياسين، وعبد الله العسكري، ومنتظر أحمد المطوع وإلى الفاضل مخرج الكتاب أبي حيدر والأخت الفاضلة رقية الطويل، لهم جميعًا ولكل من ساهم بنحو من الأنحاء في صدور هذا الكتاب تحياتي وشكري، وأسأل الله لهم عظيم الأجر وكبير الثواب ونيل شفاعة باقر العلم النبوي.

المصادر

- بعد القرآن الكريم

نلفت القارئ الكريم إلى أنه تم الاعتماد على الكتب الموجودة في المكتبات الالكترونية فبالنسبة إلى كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام تم الاعتماد على مكتبة أهل البيت https://ablibrary.net/ وبالنسبة إلى كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق المكتبة الشاملة، وهناك كتب ربما لم تكن في أي منهما فقد أشير إليها وإلى موقعها.

- الآبي؛ منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات، ت خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت 1424هـ.
- ابن الأثير الجزري؛ علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت .
- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء - بيروت 1405.

- الأسفراييني؛ عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1977.
- الأصفهاني؛ علي بن الحسين أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، ت السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- البحراني؛ الشيخ عبد الله: العوالم، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مؤسسة الإمام المهدي - قم 1413 .
- البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية - قم، 1399 هـ .
- البستي؛ محمد بن حبان: الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، 1393 هـ .
- البغدادي؛ محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، ت إحسان عباس، دار صادر - بيروت 1968 م .
- البلاذري؛ أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، ت سهيل زكار، دار الفكر ـ بيروت 1417 هـ .
- البيهقي؛ إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، ت عدنان علي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت .
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ت مؤسسة نهج البلاغة، دار امير كبير للنشر 1418 هـ.

- التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي قم 1410 هـ.
- ابن تيمية الحراني؛ أحمد بن عبد الحليم: منهاج السنة النبوية، ت محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1406 هـ .
- الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر: الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت .
- الحراني؛ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول، تعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي قم 1404.
- الحضرمي؛ جعفر بن محمد: الأصول الستة عشر، دار الشبستري للمطبوعات ـ قم 1405.
- الخرسان؛ السيد محمد مهدي: موسوعة عبد الله بن عباس، مركز الأبحاث العقائدية، النجف .
- الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ت السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي، انتشارات بيدار .
- خطب الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، 1387هـ .

- ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت .
- الخليلي؛ جعفر: موسوعة العتبات المقدسة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت 1407 .
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مركز نشر الثقافة الإسلامية قم ايران .
- الدارمي؛ عبد الله بن عبد الرحمن: مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية 1412 هـ .
- الدميري؛ محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت 1424 هـ.
- الدينوري؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، المكتب الاسلامي ـ مؤسسة الإشراق، 1419هـ .
- الذهبي؛ محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ .
- الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح، ت السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، نشر مؤسسة الإمام المهدي ـ قم 1409.
- الزبيري؛ مصعب بن عبد الله: نسب قريش، ت ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة.

- الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين ـ بيروت 1980.
- السبحاني؛ جعفر: موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم 1418.
- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق 1434 هـ .
- آل سلاط؛ الشيخ حسام: شهيد أردهال علي الطاهر ابن الإمام الباقر، دار الناشر الحسيني كربلاء 1436.
- آل سيف؛ فوزي: رجال حول أهل البيت، دار الصفوة، بيروت 1416 هـ .
- آل سيف؛ فوزي: سيد العابدين؛ الإمام علي بن الحسين، دار المحجة البيضاء، بيروت 1444 هـ.
- آل سيف؛ فوزي: أنا الحسين بن علي: أوراق من السيرة المغيبة عن الأمة، دار المحجة البيضاء بيروت 1442.
- السيوطي؛ جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت أبو قتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة.
- الشبستري؛ عبد الحسين: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

- ابن أبي شيبة؛ عبد الله بن محمد: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال الحوت، دار التاج ـ بيروت 1409 هـ.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: التوحيد، ت السيد هاشم الحسيني الطهراني منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم .
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، ت علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم إيران.
- الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، ت الحاج ميرزا محسن، منشورات الأعلمي ـ طهران 1404.
- الصفدي؛ خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث ـ بيروت 1420هـ .
- الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب: مسند الشاميين، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1405.
- الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966 م.
- الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت ـ 1387 هـ .

- الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم 1413 .
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم إيران 1404 هـ
- الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الأمالي، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، قم 1414
- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ـ 1390 هـ
- الطهراني؛ آقا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء ـ بيروت 1403.
- العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: دراسات وبحوث، مركز جواد للصف والطباعة، بيروت 1414
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر إثبات الهداة إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة إلى تفصيل مسائل الشريعة (آل البيت) ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم .

- ابن عبد البر القرطبي؛ يوسف بن عبد الله التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب 1387 هـ
- ابن العربي؛ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ت محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- ابن عساكر؛ علي بن الحسن ابن هبة الله: تاريخ مدينة دمشق، ت: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر 1415 هـ .
- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1326هـ.
- ابن العطار؛ علي بن إبراهيم بن داود: العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1427 .
- ابن عقيل؛ السيد محمد: العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، ت صالح الورداني، الهدف للإعلام والنشر
- أبو علم؛ توفيق: السيدة نفيسة رضي الله عنها، ت محمد شوقي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية 1428
- القرشي؛ الشيخ باقر شريف: حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام. دار البلاغة - بيروت 1413 .

- القشيري؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1374 هـ .
- القهپائى؛ المولى عناية الله علي: مجمع الرجال، ت السيد ضياء الدين الاصفهاني، مؤسسة إسماعيليان.
- قولويه؛ جعفر بن محمد بن: كامل الزيارات، ت الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة 1417 .
- الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي، تحقيق ونشر دار الحديث للطباعة والنشر، قم 1430.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي، ت علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية طهران.
- المازندراني؛ ابن شهرآشوب؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال، ت محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم 1431
- الماوردي؛ علي بن محمد بن محمد بن حبيب: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، ت الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1419 هـ ـ1999 م.
- المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان 1403.

- المدرسي؛ هادي: الشريفة بنت الحسن؛ الصديقة بنت الصديقين دار المحجة البيضاء، بيروت 1444.
- المزي؛ أبو الحجاج يوسف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت 1400 هـ.
- المطلبي؛ محمد بن إسحاق بن يسار: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ت سهيل زكار، دار الفكر ـ بيروت 1398هـ .
- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد .
- المفيد؛ محمد بن النعمان العكبري: الأمالي، ت علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1993 م.
- ابن منظور؛ محمد بن مكرم الإفريقى: لسان العرب، دار صادر ـ بيروت 1414 هـ .
- الموسوي؛ الشريف المرتضى؛ علي بن الحسين: الناصريات، رابط الثقافة والعلاقات الإسلامية 1417.
- الموسوي؛ السيد مهدي الرجائي: المحدثون من آل أبي طالب، معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف قم 1428 هـ.

- الموصلي التميمي؛ الحافظ أحمد بن علي: مسند أبي يعلى، ت سعيد بن محمد السناري، دار الحديث - القاهرة، 1434 هـ .
- النجاشي؛ الشيخ أبو العباس أحمد بن علي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ت السيد موسى الشبيري الزنجاني قم 1416 .
- النووي؛ محيي الدين بن شرف: المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، 1344 .
- النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد: معرفة علوم الحديث، ت السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية - بيروت 1397هـ .
- الهلالي؛ سليم بن قيس ؛ كتاب سليم بن قيس الهلالي، ت محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نشر دليل ما، 1422 .
- الهيتمي؛ أحمد بن محمد بن حَجر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ت عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1417هـ.

مواقع وصفحات الكترونية

- فضل الله؛ السيد علي محمد جواد: مجلة بقية الله الكترونية https://www.baqiatollah.net/article.php?id=9013

- موقع حوزة الهدى للدراسات قرئ بتاريخ 15/ 10/ 1444 https://www.alhodacenter.com/article/2506
- موقع المرجع الديني السيد صادق الروحاني رحمه الله. http://www.rohani.ir/ar/
- مرويات جابر بن يزيد الجعفي في السنن ومسند أحمد/ د. عبد الواسع محمد الغشمي: مقالة على الانترنت قرئت بتاريخ 20/ 11/ 1444 https://fraz.journals.ekb.eg/article_.pdf
- الكوراني؛ الشيخ علي: السيرة الكاملة للإمام محمد الباقر عليه السلام / نسخة pdf

الفهرس

المقدِّمة 5

سطور تعريفية 9

الإمام الباقر من الميلاد إلى الاستشهاد 11

1/ ميلاده ووالدته 11

هل هي شريفة بنت الحسن المجتبى؟ 13

رأي المثبتين 14

رأي النافين 16

النتيجة من الرأيين 18

2/ الإمام الباقر في كربلاء 20

3/ الباقر في أيام إمامة أبيه السجاد 21

4/ الباقر: لقب يشير إلى خريطة عمل 25

5/ الإمام محمد الباقر وجابر الأنصاري 28

هل كان جابر كفيف البصر حينها؟ 30

دروس زيارة الإمام الباقر لجابر الأنصاري 33

6/ الإمام الباقر وقضية النقد الإسلامي 35

7/ الإمام الباقر وحكام عصره 42

8/ الإمام الباقر وأسفار الشام 61

9/ شهادته مسمومًا 68

كيف بقر الإمام العلوم؟ 78

3/ تصحيحه لما عند المسلمين من أخطاء 106

ـ في قضايا الطلاق الشرعي والبدعي 123
كتاب عليّ وإحضار سُنَّة النبي المصطفى 127
نماذج من تراث الإمام الباقر عليه السلام 138
الطبري ومقتل الإمام الحسين عليه السلام 138
مناسك حج النبي في رواية الإمام عن جابر الانصاري 153
هل كان الإمام الباقر راويًا متعلمًا؟ 169
حوار واحتجاج مع الخوارج 173
رجال الإمام الباقر وتلاميذ مدرسته 179
محمد بن مسلم الثقفي الطائفي (ت 150) 203
جابر بن يزيد الجعفي الكوفي (ت 128) 213
مع دراسة عن مرويات جابر 221
أسرة آل أَعيَن الشيباني 226
بكير بن أعين: (ت قبل 148 هـ) 230
أهم أصحاب الإمام الصادق هم تربية الإمام الباقر 232
الحياة الأسرية للإمام 233
أولاد الإمام عليه السلام 233
نساؤه عليه السلام 238
كلمة شكر 242
المصادر 243
الفهرس 255